

دكتور عبدالرحمن بشير

من تاريخ اليمن

صراع السلطة - الوجود اليهودى

المكتبة التاريخية اليمنية

من تاريخ اليمن

صراع السلطة - الوجود اليهودى

١٠-٨٥٨ هـ / ٦٣١ - ١٤٥٤م

دكتور عبد الرحمن بشير

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة المساعد

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م





عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

بطاقة فهرسة
بشير ، عبد الرحمن
من تاريخ اليمن : صراع السلطة - الوجود اليهودى، ٦٣١ - ٨٥٨هـ / ١٢٣١- ١٤٥٤م/ عبد الرحمن بشير . - الجيزة : عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٩ .
١٣٨ صفحة ١٧×٢٠سم
تدمك ٥ ٢٥٣ ٣٢٢ ٩٧٧
١- اليمن - تاريخ
أ- العنوان

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣
Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693
web site: WWW.Dar-Ein.com / E-mail : dar_Ein@hotmail.com

إهداء

إلى أبى .....

عنوانى ودفترى ...

كلما إدلهمت بىَ الدنيا عدت أدراجى إلى عنوانى

وتصفحت دفترى .....

رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسعدنى أن أقدم للقارئ العربى هذا الكتاب الذى يتناول صفحات من تاريخ اليمن وجنوبى الجزيرة العربية ؛ هذه المنطقة التى ظلت مسرحًا لأحداث كبرى فى التاريخ منذ القدم وحتى الآن بسبب موقعها الجغرافى ، مما أثار اهتمام المستشرقين من علماء التاريخ والآثار بدراسة تاريخها ومحاولة تحديد الفترات الزمنية ، ورصد الأسرات الحاكمة ، وبيان دورها السياسى والحضارى . ولأن هذه المنطقة جزءًا من جسد هذه الأمة ، وحبة فى عقدها كان الاهتمام بأن نفرد لها هنا الكتاب الذى يضم قسمين الأول : يتناول الصراع على السلطة ، والثانى : يرصد الوجود اليهودى فى اليمن بعامة ، وفى عدن على وجه الخصوص فى عصر الصليحين وآل زريع .

أما القسم الأول : فهو محاولة لتقصى الصراع بين الأقوياء فى جنوب الجزيرة العربية حول السلطة على مدى ما يقرب من سبعة قرون . تقاسم فى هذا الصراع العصبية القبلية والمذهبية، وكذلك القوى الى استقرت فى اليمن من غير العرب وزاد فى حدة الصراع الطبيعة الجغرافية والإثنية ، لذلك كان من الواجب الإرتكان إلى المنهج الوصفى ثم التحليلى للخروج بنتائج قد تساعد الباحثين فى تاريخ جنوب الجزيرة وإدراك الأسباب التى أدت إلى تعدد الكيانات السياسية فى المنطقة .

أما القسم الثانى : فهو تأريخ للوجود اليهودى فى اليمن كمدخل للدور اليهودى فى مدينة عدن التجارية فى فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامى ، حيث خضعت اليمن للنفوذ الفاطمى ، وتمثلت بوضعية متفردة تصل إلى ما يمكن أن نسميه بالحكم الذاتى تحت مظلة الدولة الصليحية ثم استقلال بنو زريع بالمدينة عندما أقاموا كيانًا سياسيًا أعانهم على استمراره ضعف الدولة الصليحية . هذا الوضع المتميز للمدينة شجع اليهود على التوافد إلى عدن بأعداد كبيرة من داخل اليمن وخارجها للمشاركة فى النشاط التجارى والأعمال اليدوية

المساعدة . تمكنت الدراسة من خلال اتباع المنهج الرصدى الاستقرائى التعرف على وضع اليهود الاجتماعى والاقتصادى فى المدينة والخروج بإجابات عن عدد من التساؤلات تم طرحها فى مقدمة هذا القسم ، ولعل القارئ يجد صدق ما كنا نصبوا إليه ، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجنبنا الذلل .

عبدالرحمن بشير

خريف ٢٠٠٨م

القسم الأول

الصراع على السلطة

مقدمة

اكتسى تاريخ اليمن السياسي في ظل الإسلام بكثير من الغموض ، والمصادر المتوفرة لا تجلى الحقيقة خاصة في المراحل التاريخية المبكرة من تاريخ الإسلام في اليمن . في المقابل نجد أن التاريخ القديم لليمن قد حظى بعناية كبيرة من خلال الدراسات التي كشفت عن الكثير من الأحداث في فترات تاريخية موغلة في القدم ، حيث قدمت الكشوف الأثرية خدمة جليلة للدراسات التاريخية ، ووضعت كثيراً من الأحداث في سياقها التاريخي ؛ والسبب في ذلك هو اهتمام المستشرقين بدراسة التاريخ القديم لليمن في إطار اهتمامهم المتزايد بتاريخ اليهود والنصارى في المنطقة ، وبتاريخ دولتي الفرس والروم اللتين تنازعتا السلطة في جنوب شبه الجزيرة قبيل الإسلام ؛ وجاءت كتاباتهم ثرية ؛ لاعتمادهم على نتائج الحفريات الأثرية بجانب ما كتبه المؤرخون البيزنطيون .

ظلت العادات والتقاليد هي القاسم المشترك بين عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي بسبب تضاريس اليمن ؛ إذ إن المناطق المتقفلة تظل الموروثات تتردد في أرجائها فترة أطول مما لو كانت مفتوحة على جيرانها ، وبالتالي احتفظ اليمنيون على مر التاريخ بتقاليد السلطة الذاتية أو الحكم الذاتي ، وهي خصوصية من خصوصيات الحكم القبلي الذي لازم القبيلة اليمنية منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحاضر ، ولم يستمر إذعان القبائل اليمنية لسلطة الرسول (ﷺ) أكثر من عشر سنوات حتى عادت حركات التمرد على السلطة من جديد ، كما تأثر سكان اليمن من غير العرب بتلك التقاليد وتحكمت فيهم هذه الموروثات ، وهي الصراع على السلطة ، حيث كان هدف أجدادهم من دخولهم إلى اليمن هو السيطرة على البلاد والانفراد بالحكم قبل الإسلام ؛ إذ ترصد المصادر التاريخية قيام دولتين في اليمن واحدة للأحباش وأخرى للفرس ، كما أن أهل الذمة هم الآخرون اتسمت علاقتهم بالسلطة بالتملق والولوج إلى مفاصل الحكم عن طريق التقرب من السلطان بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية ؛ فقد لعب النصارى واليهود دوراً مهماً في مسيرة اليمن التاريخية والسياسية قبل الإسلام ، أما بعد الإسلام فانحازوا إلى صاحب السلطان ، ودخلوا في معيته في محاولة منهم

لتأمين حياتهم داخل المجتمع اليمنى كأقلية دينية ، كما كان للمرأة دوراً فى سد فراغ السلطة على مر تاريخ اليمن ، حيث تحملت المسئولية السياسية فى فترات مختلفة خلال العصور الوسطى .

وفى هذه الورقة نحاول أن نحلل الأحداث ، ونرصد ذلك الصراع بقدر من الموضوعية فى ظل كتابات متنوعة ؛ فيها ما هو متحيز وما هو مبتور ، وفى بعض الأحيان متضاربة ، خاصة فى رصد تاريخ القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، أما بعد ذلك فهى كتابات محلية إقليمية متعصبة وأخرى عامة متحيزة ، وهى محاولة متواضعة لرصد العلاقة بين أهل اليمن وسلطة الدولة وفق معطيات المراحل التاريخية المختلفة التى مرت بها البلاد خلال العصر الإسلامى بداية من سلطة الولاة الذين حكموا اليمن بتفويض من حكومات المدينة المنورة ودمشق وبغداد ، ومروراً بسلطة الدول المحلية القبلية والمذهبية التى استقلت بالبلاد وأخيراً سلطة العجم . هذه هى القوى السياسية التى اعتلت هرم السلطة فى اليمن خلال العصور الوسطى ؛ فبتغير الحكام تتغير السياسات وتتبدل الاتجاهات نحو سكان البلاد ، وسنرصد بحول الله تعالى تلك العلاقة مع المكونات الرئيسية لسكان اليمن بدءاً بالقبيلة التى تعبر عن جل سكان اليمن مروراً بالعبيد والأبناء وأهل الذمة ، ثم وقفة مع علاقة الدولة بالمرأة . والله أسأل أن يجنبنا الزلل إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن بشير

(١)

الدولة والقبيلة

لم تتغير الحياة القبلية فى اليمن بعد الإسلام ؛ فالقبيلة هى الوحدة الأساسية فى المجتمع اليمنى ، وهى التنظيم البدائى الذى يقوم على رابطة الدم والقربى والسلطة الأبوية ، حيث تتكون القبيلة من بطون وعشائر وعائلات وأسر ، وهى دائمًا ما تتمرد على السلطة وترفض الهضيمة وتعشق الحرية فهى لا تخضع لأى سلطة ما إلا لضعف أو لمصلحة (فالعصبية تكون من الالتحام بالنسب أو فى معناه ؛ وذلك أن صلة الرحم طبيعى فى البشر ، ومن صلتها النعرة على ذوى القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة)[١]؛ وبهذا المعنى تأصل النظام القبلى فى اليمن منذ دولة سبأ القبلية حينما عرض النبى سليمان عليه السلام على ملكتها بلقيس الإسلام فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢]، أى : إنها لم تسلم لسليمان ولم تخضع لسلطانه باعتبارها ندًا له ، وظلت القبائل اليمنية على هذا الحال يخضعون للدولة فى إطار من الحرية الذاتية ، ولدينا مثال على ذلك من نجران حيث ظل بنو عبد المدان ؛ وهم من سلالة شداد بن عاد يتمتعون بحكم ذاتى " لا يطيعون لملك الغز (دولة بنى رسول) ولا سلاطين العرب " [٣]، فالإنسان العربى مجبول على الحرية ، وهو لا يطيق الخضوع لأحد غير قبيلته ، على أن لا يؤثر ذلك فى حريته الشخصية [٤].

وظل الأمر كذلك بعد دخول الإسلام اليمن ففى أيام الخليفة عثمان بن عفان قدم عليه خيفان بن عرابه ؛ حيث سأله : (كيف تركت أفاريق العرب فى ذى اليمن ؟ فقال : هذا الحى من بلحارث بن كعب فحسك امراس ومسك أحماس ؛ تتلظى المنية فى رماحهم ، وأما هذا الحى من أغار بجيلة وخثعم فجوب أب ، وأولاد عله ؛ ليست بهم ذلة ، ولا قلة ؛ صعابيب

---

١ - ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم بيروت ١٩٨٤م ، ص ١٢٨ .

٢ - سورة النمل ، الآية ٤٤ .

٣ - ابن المجاور ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشقى، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض والحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه وضبطه أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١م ، ص ٢١٠ .

٤ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ١٩٩٣م ، ص ٤٠٨ .

وهم أهل الأنابيب ، وأما هذا الحى من همدان ؛ فأنجاد بسل ؛ مساعير غير عزل، وأما هذا الحى من مذحج فمطاعيم فى الجدب ، مساريع فى الحرب)[١] ، وهذا الحديث وإن كان يعدد الخصال الكريمة التى تمتعت بها القبائل اليمنية فإنه يدلل على استمرار نظام القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية وعسكرية فى اليمن . اختلفت القبيلة اليمنية عن غيرها من القبائل العربية الأخرى فى شبه الجزيرة العربية فى كثير من الخصائص والصفات ، فأهل الحضر منهم لا يأنفون من العمل ولا يستصغرون شأن الحرف مما يدحض نظرية ابن خلدون[٢] فى أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ، ويرجع هذا الاختلاف والتباين إلى الطبيعة التى أثرت على أجسامهم وعقولهم ؛ فجعلتهم من أنشط شعوب شبه الجزيرة العربية فى ميدان العمل والحيلة فى كسب الرزق وفى إقامة المجتمعات ، ومع أن فريقًا من القبائل اليمنية عاشوا حياة الاستقرار والحضر لكنهم بقوا مخلصين لمثل البوادى ولطبيعتها فى الحياة ؛ فهم فى قراهم ومدنهم بيوت وبطون ويتمسكون بالعصبية [٣]، ولا يختلف نمط الحياة فى اليمن كثيراً بين المدينة والقرية أو البادية ، فوجود القبائل فى المدن يعتبر استيطانًا قبليًا ولا يتحول إلى مواطنة فى المدينة ؛ إذ أن فكرة الوطن ارتبطت دائمًا بالقبيلة ولم ترتبط بالحدود الجغرافية[٤] إلا فى حالات فرضتها الظروف سوف يأتى تفصيلها .

استظلت القبيلة بظل الدولة الإسلامية من خلال الحكم المركزى للخلافة الإسلامية عن طريق الولاة طالما كان هذا الحكم يمسك بتلابيب هذه القبائل عن طريق زعمائها ، أما وقد بدأت هذه

---

١ - الزمخشرى ، محمود بن عمر ، الفائق فى غريب الحديث ، تحقيق محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ دار المعرفة لبنان ، ٣ ص ١٠٨ ، وأمراس جمع مرس بكسر الراء ، وهو الشديد الذى مارس الأمور وجربها ، ابن منظورر ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٠ ص ٤٨٨ ، ويستشهد ابن منظور بنفس الحديث للتعريف بكلمة أمراس ، وأحماس مفردها الحمس من الحماسة والمنع والمحاربة ، ابن منظور ، نفسه ، ٦ ص ٥٧ ، الأنبوب ما بين العقدتين فى القصب والقناة ، وأنبوب القصبة والرمح كعبهما ، ابن منظور ، نفسه ، ١ ص ٧٤٧ .

٢ - المقدمة ، ص ٤٠٤ .

٣ - راجع جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ١، ص ٢٨٨ ، ٤ ص ٢٨٣ .

٤ - قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، دار المعارف ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٦٥ .

الحكومة المركزية فى الضعف فإن الأمر أصبح متروكًا لزعيم القبيلة حسب قوة القبيلة وعدد بطونها ، فإما أن يستقل بمنطقة نفوذه ومعه بطون القبيلة مكونًا دولة ، وإما أن يدخل فى حلف من القبائل الأخرى يستجيب لمتطلباته ، وظل هذا النظام القبلى يشارك فى قيادة اليمن قبل الإسلام وبعده ، وهذا يوافق قول أحد الدارسين بأن أكثر مؤسسى الأسر الحاكمة فى اليمن كانوا سادات قبائل فى الأصل ، استغلوا مواهبهم وإمكانيات قبيلتهم وسخروها فى سبيل الحصول على الملك وعلى التلقب بلقب ملك أو سلطان ، حيث يجمع الزعيم شمل عدة قبائل ويترأسها ، وقد يُنَصِّب نفسه ملكًا عليها[١].

تأتى العلاقة بين القبيلة والدولة فى اليمن ضمن إطارين الأول : علاقة القبيلة بالدولة القبلية التى تستمد سلطتها من عصبيتها بمعنى (أنه لابد لها من العصبية التى بها يتم أمرها) [٢]، والثانى : علاقة القبيلة بالدولة الدينية التى تعتمد على المذهب الدينى فى بسط سلطانها ، وباستعراض الإطار الأول نجد أن تاريخ اليمن من قبل الإسلام وبعده وحتى قيام الإمامة الزيدية كان إلى حد ما عبارة عن حكم قبيلة استطاعت أن تخضع لسلطتها ونفوذها بشكل مباشرة أو غير مباشرة مجموعة من القبائل المغلوبة على أمرها أو المتحالفة معها من أجل مصالح معينة يأتى ذلك انسجامًا مع قول ابن خلدون " العصبية متألفة من عصبيات كثيرة ، وتكون واحدة منها أقوى من الأخرى فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعًا فى ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب " [٣]، وكانت سلطة الدولة القبيلة لا تعدو كونها نوعًا من الإشراف على القبائل كمجموعات ؛ إذ أن النظام القبلى ذو نزعة قوية للحكم الذاتى ، وبالتالى فإن السلطة داخل القبيلة سواءً كانت حاكمة أو محكومة كانت دائمًا من اختصاص زعمائها ، ومن ثم كان ولاء زعماء القبائل أو عدائهم يعنى ولاء القبيلة كلها أو عدائها[٤] ، فالدولة القبلية تقابلها فى اليمن منذ سنة ١٣٠٠ ق.م تقريبًا ، حيث قامت

---

١ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤ ص ٣٤٣ .

٢ - ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٠ .

٣ - المقدمة ، ص ١٦٦ .

٤ - فضل على أحمد أبو غانم ، القبيلة والدولة فى اليمن ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص ١٤٥ .

الدولة المعينية فى منطقة الجوف فيما بين حضرموت ونجران ، ثم عاصرتها دولة قبلية أخرى وهى مملكة حضرموت التى ظهرت فى منطقة حضرموت وسقطت فيما بين سنة ٣٧٠ : ٣٣٥م، كما عاصرت الدولة المعينية حكومة قبلية أخرى هى حكومة قتبان فى وادى بيجان شمال غربى عدن ، وانتهى استقلالها فى القرن الثالث ق.م ، وقامت فى صرواح ومأرب دولة سبأ فى القرن الثامن ق.م تزعمتها بطون حمير ، ومرت بثلاثة أدوار حيث ضمت إليها فى أواخر القرن الثانى ق . م ذو ريدان ثم حضرموت ، وزادت سيطرتهم على بلاد اليمن خلال القرن الثالث م حيث أصبح ملكها يكنى بملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت [١]، ولقد مهد التطاحن القبلى لدخول الأحباش اليمن ؛ حيث يؤكد نقش بالخط المسند على اشتعال الحرب بين سبأ وحمير ورحبة وكندة ومضر وثعلبة [٢]، وبالتالى أنهى الأحباش الحكم القبلى اليمنى ، ثم يأتى الفرس بدعوة من حمير ليقوضوا حكم الأحباش [٣]، ويكاد حكم الغرباء من الأحباش والفرس أن يكون مقصوراً على العاصمة صنعاء وما جاورها وتظل قبائل اليمن تتمتع أبداً بحريتها وأن الحكم فيها كان للأسر المالكة القديمة ، وهم فى صراع دائم فيما بينهم[٤].

دخل الإسلام اليمن واهتدت القبائل بجهود صحابة رسول الله (ﷺ) ، واستمر العقد لباذان أو باذام الفارسى بعد إسلامه على اليمن ومخاليفها " لم يزل عامل رسول الله أيام حياته فلم يعزله عنها .. حتى مات "[٥]، وبعد وفاته قسم الرسول (ﷺ) اليمن إلى خمسة أقسام وولّى على كل قسم أميراً من الصحابة يعلمهم أصول الدين الجديد ، وهم خالد بن سعيد على صنعاء ، والمهاجر بن أبى أمية على كندة ، وزياد بن لبيد علي حضرموت ، ومعاذ

---

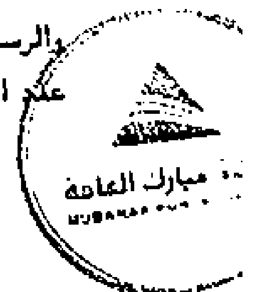
١ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٢ ص ٧٣ ، ١٢٩ ، ١٧١ ، ٢٥٨ .

٢ - محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٨م ، ص ٣٦٩ .

٣ - وهب بن منبه ، التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٣١٧ .

٤ - محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص ٣٨٩ .

٥ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ ، ٢ ص ٢٤٧ ، ومخاليف مفردها مخلاف وهو الكورة أو الإقليم أو البلد ، والمخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكور لأهل العراق والرساتيق لأهل الجبال (ابن منظور لسان العرب ، ٩ ص ٨٤) ويعدد اليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ عدد المخاليف فى اليمن أربعة وثمانون مخلافاً (تاريخ اليعقوبى ، دار صادر بيروت ، ١ ص ٢٠١) .



ابن جبل على الجند ، وأبا موسى الأشعرى على منطقة زبيد ،وزمعة على عدن والساحل(١) ، وحاول الرسول (ﷺ) التخفيف من غلواء العصبية بين القبائل اليمنية فجعل الصدقة فيما بينهم(٢) ، ويأتى اهتمام الرسول (ﷺ) باليمن ضمن تأمين جنوب دولته حتى يتفرغ لنشر الإسلام خارج شبه الجزيرة ، فكان إيفاده لعلى بن أبى طالب وخالد بن الوليد وهما من خيرة الصحابة إلى اليمن وبصحبتهما عدد من أصحاب البلاد مثل أبو موسى الأشعرى وعامر بن شهر بن باذان دليلاً علي هذا الاهتمام " قال البخارى بعث رسول الله (ﷺ) علـى بـن أبى طالب وصحبته خالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع "(٣) وكان عمال الرسول (ﷺ) عند وفاته على اليمن ثلاثة هم أبان بن سعيد بن العاص على صنعاء وأعمالها ، ومعاذ بن جبل على الجند ومخاليفها وزياد بن لبيد على حضرموت وأعمالها(٤)، فبدأ الرسول (ﷺ) بخمس ولاة على خمسة ولايات ، وعند موته أصبحت ثلاث ؛ فالرسول يعرف طبيعة البلاد وطبيعة أهلها ففى البداية حاول أن يعالج التمزق الحاصل بين السكان ونزعتهم

---

١ - اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ٢ ص ١٢٢ ؛ البكرى ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ ، ٢ ص ٦٧٤ .

٢ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٣٠٠ .

٣ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأولى من الباب الرابع من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، تحقيق راضى دغفوس ، الكراسات التونسية الجزء ٢٧ رقم ١٠٧ - ١٠٨ لسنة ١٩٧٩م ، ص ٣٧ .

٤ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٥٢ ، هناك تضارب فى الروايات حول عدد عمال الرسول (ﷺ) على اليمن حال وفاته ، حيث ينقل الخزرجى عن الأفضل الرسولى صاحب كتاب نزهة الأبصار أن ولاة اليمن عندما توفى الرسول (ﷺ) هم الطاهر بن أبى هالة على بلاد عك من تهامة ، وعمرو بن حزم الأنصارى وأبو سفيان بن الحارث على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين زبيد ونجران ، وفيروز الديلمى على صنعاء ، ويعلى بن أمية على الجند ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعرى ، ويبدو أن معظم المؤرخين نقلوا عن الطبرى إذ أن كل الروايات شبه متطابقة مع روايته ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٩٣ انظر ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٥٤ ، ويبدو لأن المناطق الثلاث هى أهم مناطق اليمن فهى المراكز القيادية وتشرف على باقى المناطق ، ومن هذه المراكز يتنقل الصحابة بين أعمالها مثلما فعل معاذ بن جبل الذى كان يتنقل بين الأعمال ليعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين ، راجع الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٩٣ ؛ الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٤٥ - ٥٥ .

الاستقلالية والميل إلى الزعامة ، وبروح الإسلام وبعمل الدعاة قلص الرسول (ﷺ) الولاة إلى ثلاثًا فى طريق الوحدة وزاد من عدد الدعاة ، وبالتالى وحّد البلاد وطوّع القوة الكامنة عند أهلها لخدمة الإسلام فخرجت بطون من القبائل اليمنية تشارك فى الفتح شرقًا وغربًا ، ومدح الرسول فيهم خصالهم الحربية عندما قال " الإبدال بالشام والنجباء بمصر والعصب باليمن والأخيار بالعراق[١] والعصب هنا تعنى التجمع للحرب "[٢].

تمردت القبائل اليمنية على سلطة الدولة حيث لم تطل مدة خضوعهم لدولة الرسول (ﷺ) فى المدينة ، وانقادت برغبة منها وراء المتنبئ الأسود العنسى ، ويدعى عبهلة بن كعب الذى ينسب إلى قبيلة مذحج التى أيدته وبمساعدتها سيطر على نجران وصنعاء [٣]، وتوالى تأييد القبائل له مثل كندة وحضرموت مما زاد من قوته [٤]؛ فوحّد اليمن تحت سلطانه ، وطرد عمال الرسول (ﷺ) . بعض الدارسين[٥] وضع هذا التمرد فى مضمونه الحقيقى باعتباره ثورة وطنية طبقية تحمل فى محتواها معارضة للسلطة وممثليها فى اليمن ، وليس ردة عن الإسلام، وإنما ردة عن المشروع الاجتماعى الإسلامى متمثلاً فى الزكاة التى هى عصب هذا الاجتماع . أما من حيث أنها ثورة طبقية فهى موجّهة إلى ممثلى السلطة الأعاجم حيث كان (باذان) والى اليمن يمثل للأسود مواطنًا من الدرجة الثانية ، وبالتالى فإن القضية تحمل إشكاليتين الأولى : تتعلق بالدور الذى لعبه الأبناء الفرس فى حكم اليمن لاسيما وأن جمع الرسول (ﷺ) لباذان اليمن كله لم يكن أمراً مقبولاً من جانب القبائل القوية[٥] ، والثانية : تتعلق بالزكاة كنوع من المغارم أذعنت له القبائل بغير رضى نفس ، وهو مما سهل مهمة الأسود. مما سبق يتضح أنه لا صلة بين هذه الثورة والردة عن الدين الإسلامى بل هو صراع على السلطة من جانب ، وتحلل من الواجبات الاجتماعية التى تهدف إلى الترابط والتكافل بين المسلمين من

---

١ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٢٧ .

٢ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٥١ .

٣ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٣٠٠ .

٤ - زهير هوارى ، السلطة والمعارضة فى الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٣م ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ فاطمة علوى الصافى ، المرويات اليمنية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثانى الهجرى ، دار الثقافة ، الشارقة ٢٠٠٢م ، ص ٣٩٩ .

٥ - زهير هوارى ، السلطة والمعارضة فى الإسلام ، ص ١٢١ .

جانب آخر ، والأمر الذى يفسر صراع السلطة : هو أن الذى قتل الأسود هم من قام ضدهم بالثورة ، وقضى على مكاسبهم السياسية : أى الفرس حيث اشتركت زوجة شهر بن باذان التى اصطفاها الأسود لنفسه مع فيروز الديلمى وداذويه وقيس بن مكشوح المرادى فى تنفيذ المهمة(١).

واصل الخلفاء الراشدون المهمة التى بدأها الرسول (ﷺ) حيث أرسلوا البعوث والسرايا إلى اليمن ، وفى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان للفتنة بينه وبين معاوية صداها فى اليمن مثلما كان لها صدى على العالم الإسلامى ، حيث أرسل معاوية إلى اليمن بسر بن أرطأة العامرى فعاث فيه قتلاً وتذبيحاً(٢) وعسف بأهله واستحل الحرام وعاث فى البلاد على حد قول الخزرجى(٣) فأرسل علياً قائده حارثة بن قدامه السعدى الذى أعاد الأمور إلى نصابها مؤقتاً ، ثم عاد إلى مكة فلما دخلها بلغه موت على بن أبى طالب كرم الله وجهه(٤)، وهنا نرصد معارضة قوية لمعاوية من القبائل التى تشيعت لعلى بن أبى طالب فى اليمن خاصة كندة التى هاجرت بطون منها إلى الكوفة وناصرت على بن أبى طالب ونشأ فيها منوعات من الغلو الشيعى (٥)، وكذلك بطون من خولان التى استدعت وساندت بعد ذلك الإمام الزيدى الهادى إلى الحق (٦). والملاحظ على هذه الفترة أن والى صنعاء كان يتفوق على أقرانه ولاة الجند وحضرموت ، ومن الصعب تحديد الدور الدقيق لهؤلاء الولاة ، ومدى سلطتهم وسيطرتهم علي القبائل اليمنية لكن يظل الدور المهم لهم هو نشر الإسلام فى هذا البلد الذى يعانى من صعوبة التضاريس والاتصالات ، وتعليم الناس كيفية ممارسة شعائرهم ، وخلق جو من الحياة الإسلامية الجديدة على مجتمع اليمن (٧).

---

١ - راجع الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢، ص ٢٥١ .

٢ - اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ٢ ص ٢٠٠ .

٣ - اليمن فى عهد الولاة ، ص ٦٣ .

٤ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٦٣ .

٥ - زهير هوارى ، السلطة والمعارضة فى الإسلام ، ص ٣٧٩ .

٦ - يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون، ص ٤١ .

7 - Smith, G., Rex, The Political History of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion, in studies in the medieval history of the Yemen and South Arabiam Variorum, 1997, 1 p . 129 .

خضعت اليمن للخلافة الأموية ، وتوالى وصول الولاة لليمن الذى ازداد عددهم فى تلك الفترة حيث بلغ ما يزيد عن خمسة وعشرين واليًا فى تسعين سنة هى عمر الخلافة الأموية. ويأتى ذلك متوافقًا مع سياسة الدولة الأموية فى التخوف من النزعات الانفصالية للولاة. واستثناءً من هذه القاعدة كانت ولاية يوسف بن عمر الثقفى من قبل هشام بن عبد الملك حين استمرت ولايته ثلاث عشرة سنة[1] ، كما أنه من الصعوبة بمكان تحديد الدور الدقيق للولاة ومدى سلطتهم التى كانت فيما يبدو محدودة أو ربما منعدمة خارج منطقتهم[2]؛ لذلك نجد مناطق قبلية شبه مستقلة فى العصر الأموى عن الولاة ، وكانت القبائل دائمة الثورة والتمرد على السلطة : فعلى سبيل المثال ثار أهل اليمن سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩م على عامل أبى جعفر المنصور عبد الله بن الربيع ، حيث وجه لهم معن بن زائدة الشيبانى فقتل الكثير وأقام فى اليمن تسع سنين [3]، وفى ولاية حماد البربرى أيام الرشيد عسف الوالى بالرعية وقتل جماعة من زعمائهم ؛ فشكا أهل اليمن عاملهم للرشيد فى مكة أثناء موسم الحج ؛ فلم يجبهم إلى شيء مما سألوه ؛ فانتفض الهيضم بن عبد الحميد ، وامتنع فى جبال العضد[4] واستولى عليها فأجابه الكثير من بطون القبائل اليمنية ، وتحصن معه زعماء هذه القبائل [5]. لم يستطع حماد القضاء على التمرد ؛ فحاربه على الطاعة وظفر حماد بالجبل الذى تحصن فيه الهيضم وقبض عليه وعلى أهل بيته وكذلك على رؤساء القبائل التى تحالفت معه وأرسلهم إلى هارون الرشيد فى مدينة الرقة ؛ فقتل الهيضم وصرف سائر من كان معه [6]؛ فالعصبية القبلية ورغبة التحرر من السلطة كانت دائمًا حاضرة عند القبائل اليمنية ، وما أن يعبر ثائر أو

---

١ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٧٠ .

2 - Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 129 .

٣ - اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ٢ ص ٣٧٢ .

٤ - جبال العضد من أعمال شبام أقيان ، راجع ، الهمدانى ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، دار اليمامة ١٩٧٧م ، ص ١٢٣ .

٥ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٩١ - ٩٢ .

٦ - الرازى ، أحمد بن عبد الله الصنعانى ، تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمرى ، عبد الجبار زكار ، صنعاء ١٩٧٤م ، ص ١٠٨ .

متمرد عن شق عصا الطاعة على السلطة حتى يجد الكثير من المناصرين والمساندين من هذه القبائل ، لكن هذا الأمر ظل خلال فترة الرسول (ﷺ) والدولة الأموية تحت السيطرة في إطار المنظومة القديمة للعلاقة بين القبيلة والسلطة .

ظفرت القبيلة بالحكم الذاتي في اليمن من خلال دول قبلية محلية ، فبعد سيل الفتوحات الإسلامية حدث نوع من الاختناق لم يجد سوى قنوات الحروب الأهلية والثورات للتعبير ومحاولة الدخول في سياق السلطة [١] ، وبدا ذلك واضحًا منذ بداية القرن الثالث الهجري حيث تصدرت القبائل اليمنية هرم السلطة في اليمن منسلخين من الخلافة العباسية الضعيفة ومتدثرين بغطاء شرعي منها ، وليس من قبيل المصادقة أن ترتقي بطون قبيلة حمير [٢] سلم السلطة وتقيم دولتين متزامنتين ؛ فأجدادهم كانوا أصحاب آخر دولة قبلية في اليمن قبل الإسلام كما بينا سابقًا . أما الدولتين فهما دولة بنو زياد (٢٠٣ - ٤٠٩هـ / ٨١٨ - ١٠١٨م) [٣] التي اتخذت من مدينة زبيد عاصمة لها ، ودولة بنو يعفر (٢٣٢ - ٣٨٧هـ / ٨٤٧ - ٩٩٧م) [٤] التي سيطرت على صنعاء وجعلتها عاصمة لها . اعتمد نفوذ وسيطرة

---

١ - زهير هواري ، السلطة والمعارضة في الإسلام ، ص ٥٣٣ .

٢ - عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن عمارة بن أبي أبي الحسن علي الحكمي اليمني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) ، تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ص ٣٨ .

٣ - عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٤٥ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ص ٦٧ ؛ ابن مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م ، ١ص٩ ؛ الخزرجي ، اليمن في عهد الولاة ، ص ١٠٠ ، ويرى عبد الرحمن الشجاع أن هناك خطأ في تاريخ بداية الدولة إذ يرى أن التاريخ الحقيقي للدولة هو (٢٧٩ - ٤١٢هـ / ٨٩٢ - ١٠٢٢م) بناءً على اختبار النصوص ، انظر ، تاريخ اليمن في الإسلام ، دار الفكر المعاصر صنعاء ١٩٩٧م ، ص ١٧٨ - ١٨٦ ؛ فقد أورد ابن المجاور أن (دولة بني زياد في اليمن (دامت) مائتين وثلاث سنين لأنهم اختطوا مدينة زبيد سنة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة سبع وأربعمائة) انظر المستبصر ، ص ٧١ .

٤ - من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ معين لقيام هذه الدولة في ظل ضبابية المعلومات ولكنا أخذنا برأي Smith باعتبار أن انتصار يعفر بن عبد الرحمن الحوالي على قوات العباسيين ودخوله صنعاء كان هو البداية الحقيقية ، وهذا خلاف ما أخذت به فضيلة الشامي إذ حددت التواريخ الآتية لبداية ونهاية الدولة (الدولة اليعفرية بصنعاء والجند ، ونشاطها السياسي والعسكري ٢٢٥ هـ / ٣٩٣م ، المؤرخ العربي ١١ ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٣٤) أما عبد الرحمن شجاع (تاريخ اليمن في الإسلام ، ص ١٧٢ - ١٧٨) فلم يعين تاريخًا محدداً لبداية الدولة .

الدولتين القبليتين على العصبية القبلية ، حيث يتوقف نفوذ الدولة واتساع رقعتها على حال عصبيتها من جهة ، وحال العصبية فى المناطق التى تحكمها ، أو التى تريد بسط نفوذها عليها من جهة أخرى[١] ، ويأطر ذلك ابن خلدون[٢] عندما يقول " كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها ، والسبب فى ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لابد من توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور التى تصير إليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو " ، فبعد موت الوصى على عرش الزياديين الحسين بن سلامة سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م ضعفت الدولة ، وظهرت حالات من التمرد القبلى حيث انفردت بنو معن[٣] بعدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت كما ثار بنو الكرندى وسيطروا على سمدان والدملوة والتعكر[٤] .

---

١ - ملك ابن زياد أقليم الجبال والتهائم وحضرموت وديار كنده والشحر ومرباط وأبين ولحج وعدن والتهائم إلى حلى .. وملك من الجبال الجند وأعمالها ومخلاف المعافر ومخلاف جعفر وصنعاء وصعدة ونجران وبيجان ، (انظر عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٣٧ - ٣٨ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٧) ؛ وبسط يعفر بن عبد الرحمن الحوالى سيطرة بنى يعفر على مناطق واسعة من اليمن من صعدة فى الشمال إلى الجند فى الجنوب ، وفى سنة ٢٥٨هـ / ٨٧٢م تنازل يعفر عن السلطة لولده محمد بن يعفر بعد أن طعن فى السن ، وحصل محمد على تقليد من الموفق طلحة شقيق الخليفة المعتمد العباسى - صاحب الأمر والنهى فى الدولة العباسية - فى نفس العام بولاية اليمن (فغلب على صنعاء والجند وحضرموت ، وكان مع ذلك يوالى ابن زياد صاحب زبيد ويحمل إليه الخراج ، راجع ، الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ١١١ .

٢ - المقدمة ، ص ١٦١ .

٣ - حكم بنو معن فى تلك المناطق باعتبارهم نواباً عن دولة بنى زياد ثم استقلوا عنهم بعد موت الحسن بن سلامة وظلوا كذلك لمدة ربع قرن إلى أن استولى على بن محمد الصليحى على عدن وما حولها عام ٤٥٥هـ فدخلوا فى دولته وتحت طاعته فأبقاهم نواباً له فى حكم تلك المناطق ، وهذا مما يفسر تمرد القبائل عندما تضعف سلطة الدولة ثم خضعوها لها فى حالة قوتها ، راجع ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢١ ، محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، مجلة المؤرخ العربى اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العدد ١٥ لسنة ١٩٨٠م ، ص ٣٢١ .

٤ - نعمان محمود جبران ، روضة سحيم حمد آل ثانى ، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الإسلامية الوسطى ، الأردن ١٩٩م ، ص ٤٦ ، ١٠٨ ، هامش ٨٤ .

الدولتين القبليتين على العصبية القبلية ، حيث يتوقف نفوذ الدولة واتساع رقعتها على حال عصبيتها من جهة ، وحال العصبية فى المناطق التى تحكمها ، أو التى تريد بسط نفوذها عليها من جهة أخرى[1] ، ويأطر ذلك ابن خلدون[2] عندما يقول " كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها ، والسبب فى ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لابد من توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور التى تصير إليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو " ، فبعد موت الوصى على عرش الزياديين الحسين بن سلامة سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م ضعفت الدولة ، وظهرت حالات من التمرد القبلى حيث انفردت بنو معن[3] بعدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت كما ثار بنو الكرندى وسيطروا على سمدان والدملوة والتعكر[4] .

---

١ - ملك ابن زياد أقليم الجبال والتهائم وحضرموت وديار كنده والشحر ومرباط وأبين ولحج وعدن والتهائم إلى حلى .. وملك من الجبال الجند وأعمالها ومخلاف المعافر ومخلاف جعفر وصنعاء وصعدة ونجران وبيجان ، (انظر عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٣٧ - ٣٨ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٧) ؛ وبسط يعفر بن عبد الرحمن الحوالى سيطرة بنى يعفر على مناطق واسعة من اليمن من صعدة فى الشمال إلى الجند فى الجنوب ، وفى سنة ٢٥٨هـ / ٨٧٢م تنازل يعفر عن السلطة لولده محمد بن يعفر بعد أن طعن فى السن ، وحصل محمد على تقليد من الموفق طلحة شقيق الخليفة المعتمد العباسى - صاحب الأمر والنهى فى الدولة العباسية - فى نفس العام بولاية اليمن (فغلب على صنعاء والجند وحضرموت ، وكان مع ذلك يوالى ابن زياد صاحب زبيد ويحمل إليه الخراج ، راجع ، الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ١١١ .

٢ - المقدمة ، ص ١٦١ .

٣ - حكم بنو معن فى تلك المناطق باعتبارهم نوابًا عن دولة بنى زياد ثم استقلوا عنهم بعد موت الحسن بن سلامة وظلوا كذلك لمدة ربع قرن إلى أن استولى على بن محمد الصليحى على عدن وما حولها عام ٤٥٥هـ فدخلوا فى دولته وتحت طاعته فأبقاهم نوابًا له فى حكم تلك المناطق ، وهذا مما يفسر تمرد القبائل عندما تضعف سلطة الدولة ثم خضعوها لها فى حالة قوتها ، راجع ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢١، محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، مجلة المؤرخ العربى اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العدد ١٥ لسنة ١٩٨٠م ، ص ٣٢١ .

٤ - نعمان محمود جبران ، روضة سحيم حمد آل ثانى ، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الإسلامية الوسطى ، الأردن ١٩٩٠م ، ص ٤٦ ، ١٠٨ هامش ٨٤ .

لم يمر قرن من الزمان حتى ظهرت دولة قبلية أخرى في اليمن عندما تطلعت قبيلة همدان[١] للقفز على السلطة في منطقة صنعاء وما حولها مستغلة بطونها الكثيرة هناك[٢]؛ فالقبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها [٣]، وخلعوا على أنفسهم لقب السلطان، وتداولت السلطة بين ثلاث أسر من همدان هم بنو حاتم المغلسي وبنو القبيب وبنو اليامي، ويأتي تداول السلطة فيما بينهم قسريًا بناء على اجتماع كلمة بطون همدان [٤]، والأسرة الأخيرة حظيت بنوع من التوثيق التاريخي الذي عرض لأهم الإنجازات التي حققتها الدولة خاصة في ظل حكم السلطان حاتم ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م [٥]، الذي قضى اثنا عشر سنة من حكمه في نشر السلام في شمال اليمن؛ فبحلول سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م كانت قد سيطر على المنطقة الواقعة

---

١ - عن نسب همدان راجع، الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق، محمد بن علي بن الحسين الأكوع، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٩٩٠م، ١٠، ص ٣٥.

٢ - تسكن بطون كثيرة من همدان في المنطقة الممتدة من شمال صنعاء إلى جنوب صعدة، عن سكن بطون همدان، راجع إيمان أحمد شمسان، اليمن في العصر العباسي الأول، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة، جامعة عدن ٢٠٠١م، ص ٥٤.

٣ - ابن خلدون، المقدمة، ص ١٣٩.

٤ - راجع، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٢٩٧، ظل الحكم في أسرة بني حاتم هذا حتى سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م عندما تدخلت القبائل الهمدانية ونقلت السلطة من السلطان معن آخر سلطان ضعيف من بني حاتم إلى حماس وأخيه هشام بن القبيب من بني القبيب وهي الأسرة الثانية والتي كان أقوى حكامها هو السلطان حاتم بن حماس القبيب وبعد وفاته سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ضعفت الأسرة نتيجة الصراع على السلطة بين أولاده مما اضطر القبائل الهمدانية التدخل للمرة الثانية ونقلت السلطة إلى السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن مفضل اليامي لتتولى أسرة ثالثة الحكم حتى دخول الأيوبيين إلى اليمن، راجع، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص ٣١٤؛
Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 134 .

٥ - يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص ٣١٤؛ Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 134 .

شمال صنعاء باستثناء صعدة التي كانت بأيدي الزيديين ، وظل الصراع مع الأئمة الزيدين حتى وفاته ، حيث قررت همدان أن تنقل السلطة للمرة الرابعة لأسرة القبيب لكنها لم تفلح[١].

بحلول عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م استطاع توران شاه قائد الأيوبيين أن يسير شمالاً من تعز[٢] فأصبح على الهمدانيين مواجهة تحدى جديد أنهك قواهم ، ومع ذلك ظلوا يمثلون قوة سياسية يسيطرون على مناطق من شمال اليمن إما بصورة مستقلة أو بالتحالف مع الزيدين ، كما كانوا يسيطرون على صنعاء من وقت لآخر[٣] ، ويقرر أحد الدارسين[٤] أن دولة الهمدانيين كانت إسماعيلية[٥] بدليل التعاون بينها وبين دولة بنى زريع الإسماعيلية فى محاربة على بن مهدى ، وهو أمر يحتاج إلى تفسير فى ضوء ما هو متوفر لدينا من مادة ؛ فلم يرد فيما وصلنا من مصادر أي اتصالات بين مؤسس الدولة والدولة الفاطمية ، واعتناقهم للمذهب الإسماعيلي يعنى خضوعهم للملكة أروى زعيمة الصليحيين ؛ فكيف نفسر احتلال السلطان حاتم صنعاء الصليحية واستقلاله عنها ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن السلطان حاتم كان يميل إلى المذهب الإسماعيلي لسببين الأول : هو من باب المنافسة المذهبية الشمالية من قبل الزيديين ، والثانى ، هو تطبيق الأساليب الإسماعيلية فى فرض الضرائب على الرعية من جانب التخفيف على القبائل التى سئمت المغارم ، وهو ما يجمع إليه ولاء هذه القبائل[٦] ، كما أن فى أخبار سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م يورد يحيى بن الحسين ما يثبت أن الباطنية كان

---

١ - فى شهر رمضان مات السلطان حاتم بن أحمد الهمدانى فى درب صنعاء ؛ وقام بعده ولده على بن حاتم؛ فبايعه أهل همدان ، ثم خرج إلى حصنه فى ظهر ، فأقام فيه أياماً ، فخالف عليه أهل همدان ، ومالوا إلى رجل من آل القبيب ، وهو محمد بن حماس ، راجع ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣١٤ .

٢ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣٢٣ ، وعن دخول الأيوبيين إلى اليمن انظر بعده .

3 - Smith, The Political of the Islamic Yemen, p. 134 .

٤ - محمد بن عسيرى ، اليمن فى ظل الأيوبيين ، رسالة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٩هـ ، ص ٢٩ .

5 - Sana an Arabian Islamic City, World of Islam festival trust, 1983, p. 50. R.B. Serjeant and Ronald .

٦ - حيث النص ، أمر عماله أن يقتضوا من الرعية الخمس مجرداً عن غيره من سائر المطالب ، على طريقة العبيديين ، راجع ، يحى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣١٥ .

يخطب لها على منابر صنعاء فى عهد السلطان الهمدانى حاتم بن أحمد اليامى ، واللافت للنظر أن السلطان رضخ لشروط الإمام الزيدى أحمد بن سليمان الذى طلب منه منع الخطبة للباطنية فى صنعاء.(١) مما يدلل على عدم التمسك بالمذهب .

أما الإطار الثانى من علاقة الدولة بالقبيلة فى اليمن فيتجسد فى علاقة القبائل اليمنية بالدولة الدينية التى تعتمد على المذهب الدينى فى بسط سلطانها ، فتأييد الدول المذهبية من جانب القبائل اليمنية له مدلول سياسى واجتماعى من حيث إنهاء التنافس والتحاسد على الرئاسة بين القبائل ، وتفويض الأمر لأناس ذوى مكانة دينية تاريخية وهو ما ذهب إليه ابن خلدون عندما قال : " الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية "(٢) ؛ بمعنى أن القبائل اليمنية احتضنت واجهة دينية لم تكن طرفًا في التناحر والاقتتال القبلى رغبة منها فى وضع حد لهذا الصراع على السلطة (٣) يتضح ذلك جليًا من خلال نموذج الدولة الزيدية التى تعتبر أول دولة مستقلة سياسيًا ومذهبيًا فى اليمن واتخذت من مدينة صعدة عاصمة لها سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م بزعامة الهادى للحق يحيى بن الحسين (٤)، وهو من الفرع الحسنى (٢٤٥ - ٢٩٨هـ/٨٥٩ - ٩١٠م) وهى تتخذ من المذهب الشيعى الزيدى معتقداً لها، والزيدية من أكثر فرق الشيعة اعتدالاً وهى أقربهم إلى أهل السنة والجماعة . جاء الهادى من المدينة المنورة تلبية لدعوة قادرة وزعماء القبائل التى تضرب فى شمال اليمن خاصة

---

١ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣٠٨.

٤ - المقدمة ، ص ١٥٨ .

٣ - فضل على أحمد أبو غانم ، القبيلة والدولة ، ص ١٣١ ، تشبه حيثيات قيام الدولة الزيدية فى اليمن وعلاقة القبائل بها دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى التى قامت فى سنة ١٧٢هـ / عندما فروا من بطش الدولة العباسية فى المشرق ، حيث ارتضت القبائل البربرية المتصارعة حكم الأدارسة أصحاب المذهب الزيدى ، عبد الرحمن بشير ، المعتزلة فى المغرب الأوسط عصر الدول المستقلة ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، تحرير حاتم الطحاوى ، دار عين للدراسات والبحوث ٢٠٠١م ، ص ٤٠ .

٤ - راجع ، يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، ص ٧ - ٥٣ ؛ الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ١١٨ ؛ Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 130 .

قبيلة خولان التى تسكن فى صعدة ، حيث لم تتفق القبائل على اختيار زعيم منهم ليحكم فيهم [١]؛ فنصبوه كأول إمام زيدى فى اليمن سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م[٢]، وظلت دولتهم صامدة تختفى من على مسرح الأحداث حينًا وتظهر أحيانًا أخرى حتى سنة ١٩٦٢م تتحالف مع القبائل القوية وتنقلب على القبائل الضعيفة ، وتضعف وتدخل فى زوايا النسيان ، فعندما تتبدل الأحوال ويصير لها النفوذ والسلطان يرصدها المؤرخون ويرتفع ذكرها فى كتب التاريخ ، وعندما يتصارع الأئمة ويصير الأمر إلى أكثر من إمام فى وقت واحد تضعف ويهملها التاريخ[٣].

لم ينه حكم الدولة الزيدية صراع الزعامة والسلطة بين القبائل كما كان المرجو ؛ إذ أنها انتهجت سياسة (فرق تسد) مع القبائل اليمنية فلم تسمح بتفوق قبيلة على أخرى مما أسهم فى استمرار الصراع والتنافس بين الجماعات القبلية متخذة فى سبيل ذلك العديد من الأساليب ، ومثلت دور الخصم والحكم والحليف فى وقت واحد ، والذى مكن الأئمة من هذا الدور كونهم يقفون خارج التركيب القبلى [٤]، وهذا الوضع المستقل مكّنهم من المناورة [٥]، واستغلت الدولة الزيدية مفهوم الدين كعامل أيديولوجى بقصد تحقيق غاية سياسية بحتة عن طريق تحويل المعتقد الدينى إلى نظرية سياسية دينية [٦]، مما ألب عليها بنى العباس ، حيث أعطت الخلافة العباسية فى بغداد تفويضًا للدولتين المواليتين الزيادية واليعفرية فى مقاومة هذه الدولة ، وقد نجحوا إلى حد كبير فى مهتمهم ؛ فقد كان صراعًا بين الدولة القبلية والدولة

---

١ - محمد عبد الله ماضى ، دولة اليمن الزيدية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، ١٩٥٠ ، ص ٢٣ .

٢ - محمد عبد الله ماضى ، دولة اليمن الزيدية ، ص ٣١ .

٣ - ترى الزيدية جواز وجود إمامين فى وقت واحد طالما توافرت فيه شروطهم ، انظر ابن المجاور ، المستبصر، ص ٢٠٦ .

٤ - راجع على سبيل المثال سيرة الإمام يحيى من لحظة دخوله بلاد اليمن وحتى وفاته ، حيث حفلت بالعديد من هذه الأساليب ، يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، ص ١٠ - ٥٣ .

٥ - عبد الله على عبد الله الغسيل ، دور التقاليد العرفية فى نشأة القانون اليمنى وتطوره ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٣٢ .

٦ - فضل على أحمد أبو غانم ، القبيلة والدولة ، ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

الدينية ؛ حيث بدأ الإمام الهادى يهدد نفوذهم فى البلاد عندما دخل مدينة صنعاء سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م ويقى فيها لمدة سنة [١].

ضعفت الدولة الزيدية بعد موت الهادى نتيجة ضعف خلفائه ، ثم صار الأمر لفرع آخر من فروع أبناء زيد بن على حيث برز منهم الإمام المنصور بالله القسم بن على العيانى سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م ، وتحالف مع همدان التى قدمت له الدعم السياسى والعسكرى ودخل صعدة ، وولى عليها ولده جعفر وجعل له نصف خراجها ، ونصفًا لبنى الهادى ، وكذلك نصيبًا من مكوس التجارة ، وارتفع شأن الدولة الزيدية مرة أخرى مع هذا الفرع الجديد حيث دخلت صنعاء فى طاعتهم لفترات متقطعة ، ودخلت بطون القبائل فى شمال اليمن معهم فى تحالفات طالما كانت تخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية[٢] لذلك تميزت العلاقة بين الطرفين القبيلة والدولة الدينية خلال ما يقرب من ألف عام بالتقلب والتحول من حين لآخر ، فكما كانت القوة والمساندة القبلية تمثل عامل دعم ومساندة فى قيام دولة الإمامة ؛ فقد تحولت بعد ذلك لعامل هدم لها ، ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادى وحتى منتصف القرن العشرين ظلت العلاقة تعتمد على حالة التوازن ، كما أصبحت كل منهما قوة سياسية عسكرية معارضة ومنافسة للأخرى ، بحيث أن أيًا منهما لم يكن قادراً على أن يحسم السلطة لنفسه دون أن يواجه معارضة ومنافسة شديدة من القوى الأخرى [٣].

تعتبر دولة الصليحيين الإسماعيلية الموالية للفاطميين ٤٣٩ - ٥٣٢ هـ / ١٠٤٧ - ١١٣٨م[٤] هى الأخرى دولة قبلية ذات مذهب دينى ؛ فمؤسس الدولة محمد بن على الصليحى ينسب إلى قبيلة حاشد الهمدانية[٥] تمكن من تأسيس دولة شيعية المذهب باليمن

---

١ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ١١٨ ؛ Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 130 .

٢ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٣ - فضل على أحمد أبو غانم ، القبيلة والدولة ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

٤ - دخلت دعوة الشيعة إلى اليمن بعد سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م على أيدى اثنين من دعاتها هم ابن حوشب الكوفى ، وعلى بن الفضل اليمانى فى عدن لاعة ، انظر ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٣٩ .

٥ - أحمد حسين شرف ، اليمن عبر التاريخ ، ١٩٨٠م ، ص ١٩٥ ، عن نسب حاشد الهمدانية انظر ، الهمدانى ، الإكليل ، ١٠ ، ص ٤٧ .

سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م ، ولم تنته سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م إلا وقد فرض على بن محمد الصليحى نفوذه على دولة مترامية الأطراف تمتد من مكة حتى حضرموت [١]، حيث اتخذ من صنعاء عاصمة له ، وأصبح الصليحى يحكم اليمن باعتباره نائبًا عن الخليفة الفاطمى المستنصر فى مصر [٢]، وبفضل الصليحى عادت الوحدة السياسية لليمن بعد غياب طويل، حيث شهدت اليمن حالة من الصراع السياسى بين القبائل وكان الحال عبارة عن أحلاف تارة ونزال وخصام تارة أخرى ، ولو أخذنا صنعاء على سبيل المثال فى فترة الفراغ السياسى قبيل قيام الدولة الصليحية نجد خولان وهمدان وحمير والأبناء نهاية القرن الخامس الهجرى وعلى التحديد سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٦م ينتفضون فى صنعاء التى كان لها حاكم كل شهر فى تلك الفترة ، حيث دخلها الإمام يوسف بن يحيى والشريف محمد بن القسم الزيدى ، ولم ينتظم لهم فيها الأمر إلا نصف شهر [٣] وتدخل همدان فى الصراع السياسى فى صنعاء بشكل واضح للعيان : فهى التى أرجعت أحمد بن قيس بن الضحاك إلى الإمارة فى صنعاء سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٧م بعد أن كثر الاختلاف بين أمرائها وخروجه منها [٤] وكانت تستدعى الزيديين ، ثم تجتمع للحرب عليهم مع غيرها من القبائل في سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٤م ، ثم تستدعى جعفر بن الإمام القسم بن على العيانى سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م ، ثم تفترق عنه ثم تستدعيه أخرى [٥]. نخرج من هذا أن صنعاء فى هذه الفترة كانت تتقاذفها الأمواج والحكم فيها لمن غلب ، وتداول السلطة فيها يتم بالقوة ، وتحاول القبائل وخاصة همدان إيجاد غطاء شرعى لها من الزيديين ، وعندما تجد أنهم لا يلبون طموحاتهم ينقلبون عليهم : لذلك كانت صنعاء فى تلك الفترة

---

١ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥١ ؛ أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ١٦١ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٤٧ .

٢ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥١ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى العرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٧م ، ص ٧٢ - ٧٤ .

٣ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٣٤ .

٤ - نفسه ، ص ٢٤٠ .

٥ - نفسه ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

الفترة وأعمالها كالخرقة الحمراء بين الأيدى على حد قول يحيى بن الحسين حتى دخلها على بن محمد الصليحى[١].

دخلت القبائل فى الدعوة الفاطمية مع كونها تخالف إلى حد ما معتقداتهم المذهبية ؛ فقد فرض على بن محمد الصليحى سيَطرته بالقوة على كل الكيانات القبلية التى حولت بلاد اليمن إلى جزر منعزلة[٢] ، بيد أن هذه الوحدة لم تعمّر طويلاً ؛ إذ بموت على بن محمد الصليحى سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨١م[٣] عادت اليمن إلى ما كانت عليه من تفتت سياسى ، ولم يأتى توحيد اليمن إلا بفكرٍ سياسى عالٍ من الصليحى الذى خبر نفسية القبائل العربية ونزوعهم إلى الحرية والمساواة ، وكراهيتهم للظلم وثورتهم على كل سلطة ؛ فتسلّح بالمذهب الدينى وحاول أن يوازن ما بين أصله القبلى ومذهبه الدينى ؛ لأنه يعلم أن القبائل لن تمكنه من استقرار سلطانه لذلك جمع الصليحى زعماء القبائل (الملوك والأكابر) فى معيته أينما حلّ حتى يضمن ولائهم ويأمن غدرهم[٤]؛ كما أنه أظهر الحرية المذهبية خاصة مع أهل السنة فى زبيد[٥]. بعد موته وعودة زعماء القبائل إلى بلادهم رفعوا راية العصيان مرة ثانية ضد خلفاء

---

١ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٤٠ .

٢ - كانت السلطة فى بلاد اليمن موزعة كالآتى : الحواليون ملوكًا لشيام و،كوكبان ، وبنو الضحاك ملوك حاشد ، وبنو الكرندى سلاطين المعافر ، والمناخيون أصحاب المذيخرة ، والشهابيون حكامًا لصنعاء ، (راجع عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٤٩ ، نعمان محمود جبران ، روضة سحيم حمد آل ثانى ، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الوسطى ، ص ٨٤) أما اليمن الأعلي فانقسم بين آل الضحاك وبنى أبى الفتوح أولاد الإمام الداعى يوسف بن يحيى وأولاد الإمام القسم بن على العيانى (يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٤٢) .

٣ - ترصد المصادر موت مؤسس الدولة الصليحية سنة ٤٥٨ أو ٤٥٩ هـ إلا أن أحد الدارسين حقق تاريخ وفاته وقرر أن الصحيح هو سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨١م انظر أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٣٨٥ .

٤ - حيث النص " ومن سنة خمس وخمسون استقر الصليحى بصنعاء ، فأخذ معه ملوك اليمن ، التى أزال ملكها ، فأسكنهم معه ، وولى فى الحصون غيرهم " عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥١ ، ٥٢ ، وفي رحلته للحج التى قتل أثناءها " ولى أعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم ، وأخذ الملوك الأكابر فى صحبته، راجع ، نفسه ، ص ٥٥ .

٥ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥٢ .

علي بن محمد الصليحي وانفرط عقد بلاد اليمن مرة أخرى [١]؛ ففي عهد السيدة أروى تزعمت خولان الثورة والمعارضة لدولة الصليحيين مما أثار مخاوف الفاطميين في مصر فأرسلوا أحد قوادهم الذي يدعى علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة الذي وصل إلى اليمن سنة ٥١٣هـ/ ١١٣٠م وعمل على إنهاء التمرد[٢] بعد موت سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩١ أو ٤٩٢هـ / ١٠٩٨ أو ١٠٩٩م خرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين ، حيث استولى عليها يومئذ السلطان حاتم المغلسي الهمداني [٣].

أما النموذج الثالث في إطار علاقة القبيلة بالدولة الدينية في اليمن فيظهر في الدولة المهدية ٥٤٤ - ٥٦٩هـ / ١١٥٩ - ١١٧٣م ويبدو هذا النموذج مختلفًا بعض الشيء عن نموذج الدولة الزيدية ، ويتوافق مع الدولة الصليحية بحسب أن الدولة المهدية هي دولة قبلية ذات مذهب ديني ، حيث ينسب علي بن مهدي إلى حمير [٤]، والفرق الوحيد بين المهديين والصليحيين أن استراتيجية علي بن محمد الصليحي تجاه القبائل كانت أكثر فاعلية ، فضلاً عن كثرة بطون همدان وانتشارها في المناطق الهامة في البلاد ، وغالبًا ما يقال أن المهديين خوارج[٥] بالرغم أنه لا يوجد ما يساند هذه الدعوى[٦] باستثناء افتراض أنهم كانوا يؤمنون

---

١ - محمد حسين فرح ، اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ص ٥٧٤ .

٢ - كان هناك سجال بين الحرة وخولان ، فقد استقلوا بحصن التعكر ثم استعادته " ولم تزل هذه حالة خولان مع الحرة " انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٧٤ - ٦ ؛ نعمان محمود جبران ، روضة سحيم حمد آل ثاني ، تاريخ الجزيرة العربية في العصور الوسطى ، ص ٩٧ .

٣ - أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٣٨٧ .

٤ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ١٢٠ .

٥ - كتب الدكتور محمد أمين صالح مقالاً بعنوان دولة الخوارج في اليمن ، بنو مهدي في زبيد في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م٢٥ لسنة ١٩٧٨م لكنه لم يقدم النصوص التي تبرهن على اعتناق بنو مهدي لمذهب الخوارج واكتفى بقوله " أن ابن مهدي أقام حكمه على أساس ديني ، فهو من أهل السنة على المذهب الحنفي تضلع في معارف علماء العراق ثم اتخذ مسحة من مبادئ الخوارج " ص ١٣٢ ، وحتى مؤرخ الدولتين في تاريخه لفتح اليمن على يد توران شاه أخو صلاح الدين يقول " قبض على الخارجي " ويقصد به علي بن مهدي ، راجع أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٧م ، ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

6 - Smith, The Political istory of the Islamic Yemen, p. 135 .

بأن كل معصية من المعاصى هى كفر توجب إقامة الحد وهو القتل ، ويؤكد على ذلك عمارة اليمنى[١] بقوله " أن المذهب الذى كان عليه على بن مهدى وما يعتقده كان حنفى الفروع " وهو أمر مقبول بدليل مساندة علم النجاحية[٢] لعلى بن مهدى فى بداية ظهوره سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م ، ومعلوم أن زبيد عاصمة النجاحيين كانت حنفية المذهب[٣] وكون ابن مهدى قبلى ويعرف طبائع القبائل أراد من خلال دعوته الدينية أيًا كانت صبغتها من السيطرة على القبائل ليقود بتحالف منهم دولته حيث خرجت معه بعض بطون خولان وأهل الجبال [٤]، كما أنه يعرف نزعتهم الانفصالية فشدد على طاعتهم له طاعة عمياء باسم الدين ، ووصلت طاعتهم له إلى حد أنه فى حالة غضبه على أحد من أكابر أتباعه يحبس نفسه فى الشمس ويمتنع عن الطعام والشراب ويقاطع أسرته ، ولا شفاعة له حتى يرضى عنه المهدى من تلقاء نفسه ، كما أنه يعرف أن قوة القبائل تحفزهم على الخروج على السلطان فمنع عنهم الخيل وجعلها فى استطبلاته يدفعها إليهم عند الحاجة[٥].

يضاف إلى الدول القبلية ذات الصبغة المذهبية دولة بنى زريع فى عدن التى ينتسب حكامها إلى قبيلة يام الهمدانية ، حيث كانت عدن تابعة فى أول أمرها إلى الصليحيين وحكامها نوابًا لهم ، وبعد ضعف الدولة الصيليحية استقلوا بالمدينة وأقاموا دولة شيعية [٦]، ومن أشهر حكامهم الداعى سبأ بن أبى السعود (٤٨٩ - ٥٣٣هـ / ١٠٩٥ - ١١٣٩م) حيث ارتفع شأنه نتيجة انقسام الخلافة الفاطمية بعد اغتيال الخليفة الآمر فى ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٨٠م بتمسك الحرة أروى بالدعوة للإمام الطيب بن الآمر ، بينما انحاز سبأ إلى

---

١ - تاريخ اليمن ، ص ١٢٦ .

٢- عن علم النجاحية ، انظر بعده .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٨ .

٤ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

٥ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١٢٧ .

٦ - لمزيد من التفاصيل عن قيام دولة بنى زريع فى عدن راجع ، محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، ص ٣٢١ ، ٣٢٤ .

الخليفة الحافظ [١]، فلم يتوان الفاطميون فى إسباغ أنواع التبجيل والتكريم على حاكم عدن الجديد واعتباره ممثلهم فى اليمن بعد ضعف دولة الصليحيين ثم زوالها بموت الحرة أروى (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٨م) ، وقلده الخليفة الفاطمى بمصر الدعوة ، وسمى بالداعى سبأ المعظم[٢].

أما بالنسبة لسكان عدن فإن موقعها كان سببًا فى تعدد الأجناس فيها ؛ فالهمدانى المهتم بدراسة القبائل يعدد سكانها من القبائل مثل الأصابح الحميريين سكان ريف عدن ثم بطون من مذحج وكندة وبنى عامر[٣] ، والمقدسى المتوفى فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى[٤] يقول إن أكثر أهل عدن فرس ، وابن المجاور يرصد سكانها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين بأنهم عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع وحبوش .. وغالب أهلها حبوش وبرابر [٥]، وتعدد عناصر السكان وأجناسهم بهذا الشكل يؤدى إلى تلاشى العصبية كما أن ارتفاع مستوى معيشة أهل عدن بسبب رواج التجارة فى المدينة حيث يعتبرها الهمدانى أقدم أسواق العرب[٦] ربما ساهم أيضًا فى هدوء العلاقة بين السكان والدولة ، واقتصر الصراع على السلطة فى عدن فى بداية الأمر على محاولات نواب الصليحيين من بنى معن فى الاستقلال بعدن فرماهم الصليحيون ببنى زريع الذين ما لبثوا هم

---

١ - محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، ص ٣٢٧ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٩١ - ٩٣ .

٢ - من الألقاب التى أطلقت عليه : الداعى الأوحد المظفر ، مجد الملك ، شرف الخلافة ، عضد الدولة وسيف الإمام ، تاج العرب ، ومقدمها داعى أمير المؤمنين ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣ .

٣ - الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢ ؛ محمد أحمد محمد ، عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ٢٠٠١م ، ص ١١١ .

٤ - محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق ، غازى طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق ١٩٨٠م ، ١ص١٠٧ .

٥ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٤ .

٦ - الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٠ .

الآخرون أن استقلوا بعدن ، وما لبث أن شب صراع آخر على السلطة من داخل أسرة بنى زريع الحاكمة [١].

ضعفت الكيانات السياسية أمام تنازع السلطة من جانب القبائل اليمنية : وإذا كنا قد علمنا أن على بن مهدى التى تعرضنا لدولته سابقًا دان له خمس وعشرون دولة من دول أهل اليمن[٢] وما قام به الصليحى من اعتقال لزعماء القبائل فإن ذلك يبين مدى الخطر الذى كانت تمثله القبيلة على الدولة أيًا كانت قبلية أم مذهبية ، ومن تلك الأمثلة يتضح حتى وإن كان هناك دولاً كبيرة مذهبية أو قبيلة كانت فإن هناك دولاً قبيلة صغيرة تمثل بطونًا صغيرة لها حكومتها المحلية وقوانينها الخاصة بل واقتصادها الذى تعتمد عليه فى استقلالها السياسى ، أى : دولة داخل الدولة ، ويعتبر هذا النظام امتداداً لنظام الأقيال والأذواء الذى كان متبعًا فى اليمن قبل الإسلام ونظرة سريعة علي حالة الفوضى السياسية عشية غزو الأيوبيين لليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م نرى كيانات سياسية منها ما هو قبلى ومنها ما هو مذهبى ، حيث كانت دولة بنى مهدى تسيطر على تهامة من مدينة زبيد العاصمة ، ودولة بنى زريع نواب الصليحيين الشيعة كانوا يحكمون عدن وما حولها ، والأئمة الزيديين من بنى الهادى يسيطرون على الجزء الشمالى من البلاد وعاصمتهم صعدة ، وبنو عمومتهم أبناء الإمام القسم العيانى شهارة وبلادها [٣]، وبنو حاتم يسيطرون على منطقة صنعاء ، والجوف وما إليه لآل الدعام ، وهناك دولة صغيرة فى المنطقة المحيطة بحرض يتمتع فيها السليمانيون ببعض السلطة [٤]، لذلك فإن هذه الكيانات السياسية الضعيفة لم تقو أمام الأيوبيين الذين

---

١ - عن صراع السلطة بن الأخوة وأبناء العم فى دولة بنى زريع راجع ؛ عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣ ؛ ابن أبى مخزمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٨٩ ؛ محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن، ص ٣٢٨ .

٢ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١٢٤ .

٣ - شهارة من معاقل اليمن المشهورة وهى من أحد جبال هنوم بلاد همدان ، راجع ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٦ .

٤ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣١٦ ؛ احتل الأشراف الحسنيين منطقة شمال تهامة وأقاموا الدولة السليمانية ، واتخذوا من مدينة حرض عاصمة لهم ، لكن متى خرجوا من مكة ومتى وصلوا إلى حرض؟ قد تعذر الإجابة مجرد افتراض تقريبى من أحد الباحثين وهو سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩م، انظر : (Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 133) وبحلول سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م سار عبد النبى بن على بن مهدى شمالاً إلى حرض وهزم جيش السليمانيين بقيادة وهاس بن غانم " =

قضوا على كل سلطان لها فعاد اليمن من جديد شبه موحد ، حيث احتل الأيوبيون من جنوب صنعاء في الشمال حتى شواطئ المحيط الهندي بما في ذلك تهامة والسهل الساحلي الغربي وعدن في الجنوب وحتى حضرموت من جهة الشرق وأسسوا عاصمة جديدة لهم وهي تعز [١]. وهذا الوصف لملك الأيوبيين هو وصف عام لكن يمكن القول أنهم حققوا نوعًا من المركزية والوحدة بدلاً من الفوضى السياسية التي انتابت البلاد نتيجة الصراع السياسي بين القبائل اليمنية .

واللافت للنظر في خلال الفترة السابقة أن آفة التحاسد والتنافس بين القبائل اليمنية أتت بالغرباء ليحكموا البلاد فمنذ القدم يرى ابن خلدون[٢] أن العرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة والمنافسة في الرئاسة فقلمًا تجتمع أهواؤهم ، ولا يمكن التعميم في هذه القضية ؛ فكما شهدت اليمن قيام دول قبلية متماسكة شهدت أيضًا انقسامًا بين القبائل بل كان هناك انشقاق داخلي لبطون القبيلة الواحدة ؛ فعلى سبيل المثال عُرفت قبائل ربيعة اليمنية بتخاصم بطونها بعضها ببعض وبتباغضها وبتحاسد رؤسائها ؛ لذلك لا تقبل بتملك رئيس منها عليها ، ولا يرجع الأمن إليهم إلا بذهابهم إلى قبيلة كندة لتنصيب ملوك منها عليهم[٣]، وحتى في العصور التالية اعتبر غالبية الأصابح[٤] في عدن سلطان لحج زعيمهم الأكبر يخضعون له أكثر ما يخضعون لزعيمهم [٥]؛ ويبدو أن منطقة سكناهم أثرت على

= أو استولى على موالهم وسبى نساءهم ، (يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٣١٦) وقتل وهاس في المعركة ، وخلفه أخاه قاسم بن غانم الذي طلب مساعدة من الأيوبيين في مصر ، وعندما وصلوا بقيادة توران شاه سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م نشأ تحالف بينهما ، واستطاع قاسم هزيمة المهديين ، واستمرت الأسرة السليمانية في اليمن وإن كانوا نادراً ما يشاركون بصورة واضحة في شئون البلاد ، ويمكن القول أن ظهور الأيوبيين في اليمن وضع حداً لمشاركتهم الفعلية في شئون البلاد Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 132 .

١ - انظر ، محمد حسين فرح ، اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

٢ - المقدمة ، ص ١٥١ .

٣ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

٤ - الأصابح هم ولد أصبح بن عمرو بن حارث ذي أصبح بن مالك وينسبون إلى حمير الأصغر ومساكنهم لحج، راجع ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧١ .

٥ - جاد طه ، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، دار الفكر العربي ، ص ٧ .

تماسك عصبيتهم من خلال اتصال عدن بالعالم الخارجي ، واختلاطهم بعدد من الجنسيات المختلفة ، وما تبع ذلك من تأثير حضاري عليهم ، ويضاف إلى التحاسد والتنافس والتأثير الحضاري سبب ثالث في قبول القبائل اليمنية بحكم الغريب هو القوة : فلا سبيل أمامهم إلا الانصياع لحكم الغريب القوي حيث يخضعون له ويهابونه ويأخذون برأيه فيهم مادام قويًا ويقبلون بمن ينصبه عليهم [(١)].

طرأ تغير على علاقة القبيلة بالدولة في عصري الأيوبيين (٥٦٩ - ٦٢٦هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٨م) والرسوليين[(٢)] (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) بسبب سيطرة الدولة على الأرض الزراعية وجعلها إقطاعًا خاصًا لها[(٣)] ؛ فسلبت الدولة من القبائل أهم مصدر لتمويل قوتهم ، فقد كانت القبيلة خلال الفترة السابقة التي اتسمت بضعف الدولة وعدم الاستقرار

---

١ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١ ص ٢٦٤ .

٢ - انتقل الحكم من الأيوبيين إلى خلفائهم الرسوليين الذين انتقلت إليهم السلطة سلميًا في الفترة ٦٢٦ - ٦٢٨هـ / ١٢٢٩ - ١٢٣١م ، حيث اعتمدوا على الأساس المتين الذي أرساه الأيوبيون مما مكنهم من تأسيس حكم وإدارة ليس لها نظير في اليمن (G.R. Smith, The Ayyubids and Rasulids The Transfer of Power in 7th / 13th century Yemen, Islamic culture, Vol. XLIII, No.2, 1969, p. 175) وكان اليمن مقسمًا في بداية عهدهم إلى قسمين ، الأول : صنعاء وما يواليها أو ما يسمى باليمن الأعلى تحت سيادة الزيديين ، والقسم الثاني : ويشمل باقي البلاد تحت سيطرة الرسوليين (الخزرجي ، اليمن في عهد الولاة ، مقدمة المحقق ، ص ٩) .

٣ - طبق الأيوبيين نظام الإقطاع في اليمن ، وأصبحت أراضي اليمن إقطاعًا خاصًا لهم يهبونه لمن شاءوا من الأمراء والقواد (أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٣٨ ، محمد بن علي عسيري ، اليمن في ظل الأيوبيين ، ص ١٩٦ - ٢٠٥) وقد أرغم طغتكين ملاك الأرض الزراعية في الهضبة الوسطى على بيعها له وتحويلهم إلى أجراء لدى الدولة مما أفقدهم روح المحافظة على النظام القبلي (محمد أنعم غالب ، اليمن ، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٦م ص ٣٤) واستمر الوضع كذلك في عصر الرسوليين الذي شهد نشاطًا ملحوظًا من جانب الحكام بالنشاط الزراعي ، فقد ألف الملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي تقويمًا زراعيًا بعنوان : التبصرة في علم النجوم ، وألف الملك الأفضل العباس بن علي كتاب : سلوة المهموم في علم النجوم راجع : Daniel Martin Varisco, Al-tawqi'at fi taqwim al-ziraà al-majhul min asr muluk Bani Rasul, in Medieval Folk Astronomy and Agriculture in Arabia and the Yemen, VARIOUM, 1977, n. xv1, pp. 192 - 222 .

السياسي تتمتع بقدر كبير من القوة والتنظيم بفضل استقرارها وممارسة الزراعة كمهنة رئيسية حتي صارت المرجع الأساسي في اعتلاء السلطة . هبت رياح غير مواتية على القبيلة اليمنية مع النظام الجديد ، وبدا واضحًا هذا التغير على القبائل التى تعتمد على الزراعة فى حياتها ، وأصبح من السهولة ملاحظة مناطق تتميز بالتواجد القوى للنظام القبلى ، وأخرى تتميز بضعف واضمحلال هذا النظام لدرجة اختفاء التنظيمات القبلية فيها ، أما المناطق التى استمر تواجد النظام القبلى قويًا فيها فهى المناطق شبه صحراوية[١] خاصة المنطقة الشرقية المحاذية للربع الخالى والمرتفعات العليا الممتدة من بريم وذمار شمالاً حتى صعدة ، وهى تتميز بقلة الأمطار وقلة خصوبة الأرض والتضاريس الوعرة فضلاً عن الصحراء الجرداء ، ويعتمد سكانها على اقتصاد الغزو حيث فرضت الطبيعة عليهم هذا النوع من الإنتاج[٢] ، فلم يستطع السلطان المظفر يوسف بن المنصور عمر ثانى حكام الدولة الرسولية أن يسيطر على المنطقة المرتفعة شمال صنعاء على الرغم من قوة شكيمة الدولة فى عهده فقد استعمل القوة فى ضم تهامة والمرتفعات وصنعاء ثم حضرموت وجنوب الجزيرة حتى ميناء ظفار لكنه لم يستطع استمالة القبائل التى تخضع لسلطة الزيديين فأبرم معهم سلامًا سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م[٣].

أما المناطق التى ضعفت فيها النظام القبلى فتشمل فى الغالب المرتفعات الوسطى والغربية مع أجزاء كبيرة من تهامة وتتميز بخصوبة أراضيها ووفرة المياه . هذه المناطق أصبحت مركز جذب سكانى أدى إلى تغير فى التركيبة الإثنية ، ويعبر ابن خلدون[٤] عن ذلك بقوله " ثم وقع الاختلاط فى الحواضر مع العجم وغيرهم ، وفسدت الأنساب بالجملة ، وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها " واندثار العصبية أفرز عاملاً جديدًا فى تماسك الجماعة وهو وحدة الإقليم : أى الانتساب إلى المكان ، ويضاف إلى هذا أيضًا هيمنة الدولة الأيوبية والرسولية على هذه المناطق الغنية بفرض سلطة وهيبة الدولة

---

١ - محمد متولى ، محمود أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الأنجلو المصرية ١٩٨٨ ، ص ٣٥ .

٢ - فضل على أحمد أبو غانم ، القبياة والدولة ، ص ٦٢ .

3 - Smith, The Political History of the Islamic Yemen down ti the frist Turkish invasion, p. 137 .

مما أضعف من النظام القبلى [١]، ويرى أحد المستشرقين[٢]أن القبائل الجبلية لديها وعى بالتملك ، وهذا الوعى غير موجود بين نظرائهم من البدو سكان الصحراء ، بمعنى أن وعى التملك كان من ضمن عوامل النظام القبلى ، وأيًا ما كان السبب فى ذلك الطبيعة أو سلطة الدولة أو الوعى أو ثلاثتهم ؛ فبمرور الزمن أصبحت المناطق الخصبة خاضعة لسلطان الدولة ، ومن ثم غابت سلطة القبيلة ، أمّا المناطق الفقيرة فظلت متمسكة بالنظام القبلى .

واستمر حكم الغرباء للدولة اليمنية وطالت وزاد ضعف القبائل فى المناطق الخاضعة لحكوماتهم ، وبدأ نمط جديد من أنماط العلاقة فى تلك المناطق أطلق عليه أحد الدارسين علاقة بين الدولة والقرية ، حيث اختفى تقسيم السكان إلى قبائل ، وحلّ محله وحدات جغرافية ، ويبدو أن القبيلة بشكل عام فى البادية والقرية فى أيام هاتين الدولتين تعرضت لهزة شديدة خاصة أن الحكام ليسوا عربًا ويمقتون العصبية وزاد جهدهم فى إضعافها إذ أن فى ضعفها قوة لهم ، وقد نجح الأيوبيون فى ذلك وورث ذلك الرسوليون عنهم ، لكن القبائل لم تسلم بالرغم من ضعفها ووهنها ؛ حيث عانى الرسوليون كثيراً على أيدى المتمردين من القبائل ، وعندما مات الناصر أحمد سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤م آخر الحكام الأقوياء تدهورت الدولة بسرعة ، ولم يكن بوسع مَنْ أتى بعده أن يوقف المد الذى يجرى ضدهم بقوة ، وساء من الموقف تفشى مرض الطاعون فى البلاد ، وزاد الطين بلة أن الأمراء الرسوليين بدءوا فى التنازع فيما بينهم ، ومع سقوط عدن فى أيدى الطاهريين سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٠٤م واستسلام الأمير الرسولى هناك انتهت هذه الأسرة[٣].

ينتهى حكم الغرباء مؤقتًا لليمن باستيلاء حكام من أهل البلاد على السلطة ، حيث أقاموا دولة عرفت فى التاريخ بالدولة الطاهرية ٨٥٨ - ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧م على أنقاض الدولة الرسولية حكامها يعود أصلهم إلى منطقة جبان والمقرانة[٤] حيث استولوا سنة ٨٤٧هـ

---

١ - قائد الشرجى ، القرية والدولة فى المجتمع اليمنى ، دا التضامن ، بيروت ١٩٩٠م ، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

٢ - برتراك توماس ، البلاد السعيدة ، ترجمة محمد عبد الله ، وزارة التراث القومى والثقافة ، عمان ١٩٨١م ، ص ١٣٧ .

3 - Smith, The Political History of the Islamic Yemen, p. 137 .

٤ - اتخذ الملك عامر بن عبد الوهاب بن طاهر مدينة المقرانة عاصمة له . راجع ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٤١ ، الهامش .

/ ١٤٤٣م على لحج التى تبعد بضعة أميال شمال عدن ، ومن هناك استولوا على الميناء الرئيسى لليمن سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م وكانوا أقل طموحًا من أسلافهم الأيوبيين والرسوليين فى مناطق المرتفعات الشمالية التى يتحصن بها الزيديون والقبائل المتحالفة معهم ، لكن أعادوا زبيد مرة أخرى إلى الواجهة باتخاذها عاصمة شتوية مما جعلها تستعيد دورها السابق كعاصمة ثقافية لليمن .

فى أوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى قرر حكام مصر المماليك غزو اليمن واستغلالها كقاعدة ضد التهديد البرتغالى المتزايد لطريق التجارة الشرقية ، حيث وصل أسطول مملوكى إلى جزيرة كمران التى تقع قبالة ساحل زبيد سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م ، ورفض السلطان الطاهرى الظافر عامر تموين السفن مما أعطى ذريعة للمماليك بشن حرب ضده ، ودارت المعركة بين الطرفين قرب زبيد فاضطر الظافر عامر إلى التقهقر إلى تعز ، وتدخل فيها الزيديون لصالح المماليك ، كما ساندهم السلطان العثمانى سليم الأول بأسلحة نارية كانت تستخدم لأول مرة مما أفقد التوازن بين الطرفين ، ولاحق المماليك الظافر عامر إلى تعز حيث استولوا عليها وواصلوا إلى المقرانة ، وفشلت محاولات الطاهريين فى قطع الطريق إلى صنعاء أمامهم مما أدى إلى سقوطها فى أيديهم ، وقبض المماليك على عامر وهو يحاول الهرب لتصل الأسرة الطاهرية إلى نهايتها [1]. وعادت اليمن مرة أخرى لحكم الغرباء .

خلاصة القول إن الصراع على السلطة كان سمة الحكم فى اليمن خلال العصر الإسلامى الوسيط حيث تدخلت القبيلة بكل قوتها فى محاولة منها للمحافظة على استقلالها وخصوصيتها ، ونهجت فى سبيل ذلك كل الطرق الممكنة وغير الممكنة ؛ فعقدت التحالفات ونقضتها ، فتارة توالى الحاكم وأخرى تقلب له ظهر المجن ، وساعدها على ذلك تجهيزها العسكرى ، وطبيعة اليمن الجغرافية ؛ لذلك ظلت فى الواجهة يخطب ودها كل من تاق إلى السلطة والحكم ، ولم تستلم إلا فى بعض الفترات التى خضعت البلاد فيها لحكم الغرباء الذين استعملوا القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية فى إضعاف العصبية القبلية .

---

1 - Smith , The Tahirid Sultan of the Yemen, in studies in the medieval history of the Yemen and south Arabia, variorum 1997, p. 141 .

(٢)
العبيد والدولة

قبل الخوض فى تفاصيل علاقة العبيد بالسلطة فى اليمن لابد من إلقاء نظرة على الهجرة الحبشية إلى اليمن وكيف أن الجغرافية لعبت دوراً مهماً فى هذه الهجرة ؛ ففى عصر البلايستوسين[١] حوالى مليون سنة قبل الميلاد ظهر اليمن منفصلاً عن أفريقيا بسبب تصدع الأخدود الإفريقى وتكوين البحر الأحمر ، وبفضل التصدع والبراكين تكونت الهضبة اليمنية والحبشية ، وأصبحتا تشكلان لوحين قاريين متقابلين [٢]، كما أن الأخدود ترك أرخبيلاً من الجزر[٣] عند مدخل البحر الأحمر من الجنوب فى المنطقة الواقعة بين اليمن والحبشة ، وهذه الجزر فضلاً عن ضحالة مياه البحر ساعدت على سهولة الهجرة بين البلدين ويقول ابن المجاور " يقال إنه كان فى قديم العهد لم يكن هذا بحراً (الأحمر) وإنما كان عرصة[٤]. إلا أنه لا فرق بين بر العرب وبر السودان . فالأجل ذلك إن السودان كانت تملك إقليم اليمن جميعاً فى زمن الجاهلية والإسلام ، ولما كثر الماء فى البحر وظهرت صعوبته من قريب صاروا يعدونه فى المراكب[٥].

فالأصول التاريخية لعدد من قبائل الحبشة يعود لقبائل يمنية هاجرت فى قرون بعيدة عبر البحر الأحمر ، وظلت منطقة تهامة تولى وجهها شطر الجانب الأفريقى فى علاقة متصلة أكثر من علاقاتها بالداخل اليمنى ، حيث كشفت الحفريات الأثرية التى قامت بها بعثات أمريكية سنة ١٩٨٥م وأخرى إيطالية سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٧ فى منطقة مأرب أنه فى هذا الشريط

---

١ - أحدى العصور الجيولوجية .

٢ - عثر على حجر صوان فى منطقة حضرموت تشبه كثيراً تلك التى عثر عليها الباحثون فى شرقى أفريقية، محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٨م ، ص ١٩٦ .

٣ - أضيق جزء فيما بين اليمن والشاطئ الأفريقى فى العصر الحديث يتمثل فى المنطقة التى تقع عند باب المندب وفيها جزيرة بريم كما يسميها المؤرخون الغربيون وميون كما يسميها المؤرخون العرب ، تبعد هذه الجزيرة عن عدن بنحو ٩٦ميلاً ، وتبعد نحو ميل ونصف عن الساحل اليمنى واحد عشر ميلاً عن الساحل الأفريقى ، راجع جاد طه ، سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، دار الفكر العربى ، ص ١٧ .

٤ - العرصة هى كل موضع واسع لا بناء فيه ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٧ص٥٣ .

٥ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٥١ .

الممتد على ساحل البحر الأحمر حتى منطقة أبين كان هناك حضارة مزدهرة استمرت المئات من السنين قبل الميلاد تسمى حضارة صبر تعود للقرن الثالث عشر حتى منتصف القرن التاسع ق.م قامت على الزراعة والرعي والصيد البحرى والتجارة ، ثم تعطينا الحفريات معلومات عن عبور حيوانات من أصل أفريقى لليمن ترجع للقرن السابع ق.م ؛ مما يعنى هجرات بشرية من الحبشة إلى اليمن فى تلك الفترة ، ثم قامت مملكة أكسيوم على غرار الممالك اليمنية ، حيث لعبت قصة الملك سليمان وبلقيس دوراً أساسيًا فى القاعدة الشرعية التى قام عليها الحكم الملكى فى الحبشة لمدة ثلاثة آلاف سنة من خلال ذلك الطفل مينيليك مؤسس المملكة الحبشية والذى تزعم الأساطير أنه كان ثمرة حب الملك سليمان وبلقيس التى تسمى فى التراث الأثيوبى ماكيدة أو ملكة الجنوب (١).

طلب الحميريون النجدة من ملوك أكسيوم فى حربهم مع السبائيين ، مما يعنى تبادل الهجرات البشرية على الضفتين ، ولقد مهدت الحروب الأهلية الداخلية لدخول الأحباش إلى اليمن ؛ إذ يبين نقش بالخط المسند أنهم عبروا إلى اليمن بعدما استعرت الحرب بين سبأ وحمير ورحبة وكندة ومضر وثعلبة ، ومن ضمن الأسباب الأخرى التى قدمها المؤرخون لغزو الأحباش لليمن هو تلك العداوة القديمة بين الأحباش وعرب اليمن بسبب خطف الأحباش من سواحل الحبشة وبيعهم أرقاء فى بلاد العرب (٢). هذا الأمر يطرح قضية الرقيق الأسمر القادم من ضفة البحر الأحمر المقابلة لليمن فى شرق أفريقيا ويضعنا فى موضع مناقشة لقضية العلاقة الجغرافية بين الضفتين ؛ إذ أن البحر الأحمر كان مخاضة لقلة مائه(٣) فمن السهل عبور الجيوش والمهاجرين إلى اليمن ، وعلى أثر ذلك قامت دولة كبيرة قبل الإسلام يتزعمها الأحباش فى اليمن بمساعدة الحبشة وبدعم رومانى (٤). وهنا يبدو التأثير الحضارى ، ففى

---

١ - عز الدين باش شريش ، اليمن السعيد أناشيد المياه أناشيد الحجر ، ترجمة خالد النجار WWW.nizwa.com/volume32/p12-24.htmlعلى الرغم من أن هذه الأساطير قد تجافى كثيراً من الحقيقة لكنها تدلل على العلاقة الوثيقة بين الحبشة واليمن منذ القدم.

٢ - محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ،و ص ٣٦٩ .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٦ .

٤ - الهمدانى ، الإكليل ، تحقيق نبيه أمين فارس ، برنستن ، ١٩٤٠م ، جـ٨ ، ص ٢٢٦ .

الجانب اليمنى استقرت العناصر الأفريقية ، ونقلوا معهم أنماط حضارتهم وأثروا فى التركيب السكانى والجسمانى والثقافى [١]، وكذلك تأثرت عادات وتقاليد أهل اليمن بالعادات والتقاليد الأفريقية ، ويبدو طراز المسكن الأفريقى المخروطى الشكل الذى يتكون من قش وفروع الأشجار الذى انتشر بين سكان السفوح الغربية لهضبة اليمن المطلة على البحر الأحمر نموذجًا على هذا التأثير [٢].

قيام دولة فى اليمن يتزعمها موالى كانوا عبيداً وهى دولة بنى نجاح ٤٠٣ - ٥٥٥هـ / ١٠١٣ - ١١٥٠م يطرح سؤالا هو لماذا ظل مؤرخو اليمن يرددون هذه الصفة صفة العبد أو العبيد التى لازمت حكام هذه الدولة ؟ هل هو نوع من التحقير أم هو تعصب من جانبهم ؛ فالمصادر تقول (وزالت دولة بنى زياد وانتقلت إلى عبيد عبيدهم) [٣]؛ وهو يعنى بذلك انتقال السلطة من الحسين بن سلامة [٤]- وسلامة هذه هى أمه - آخر حكام دولة بنى زياد وهو من مواليهم إلى مرجان وهو من عبيد الحسين بن سلامة الذى كان بدوره هو الآخر له عبدان من عبيد الحبشة (فحلان) رباهما فى الصغر هما نفيس ونجاح ووقع بينهما التنافس كانت الغلبة فيه لنجاح الذى أقام الدولة . فلماذا لم يطلق المؤرخون على دولة اللأحباش فى اليمن التى قامت سنة ٥٢٥م وظلت البلاد لمدة خمسين سنة[٥] مثل تلك الصفة ؟ والإجابة تبدو فى حكام الدولة ؛ فدولة الأحباش الأولى تزعمها الغزاة القادمين من الحبشة لاحتلال البلاد ، أما

---

١ - محمد أحمد محمد ، عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، ص ١١٠ .

٢ - محمد متولى ، محمود أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الأنجلو المصرية ١٩٨٨م ، ص ١١٨ .

٣ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٤٤ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧١ .

٤ - كان أميراً كبيراً أسود نوبيًا وكان مولى لرشيد بن زياد ، وكان يدعى باسم أمه سلامة وبها كان يُعرف ، ولما مات سيده رشيد وزر لإسحق بن إبراهيم ، ثم تولى أمر البلاد بعد إسحق حيث لم يبق من بنى زياد من يصلح لذلك غير طفل صغير اسمه أبو الجيش وهو ابن سيده إسحق ، وبعد موته سنة ٤٠٢هـ / ١٠١٢م اضطرب ملك بنى زياد وانقرضوا ، حيث تولى أمر الدولة طفل من آل زياد اسمه عبد الله وكفلته عمته وعبده أستاذ الدار واسمه مرجان وهو من عبيد الحسين بن سلامة وذلك ما جعل ابن المجاور يقول أن الدولة انتقلت إلى عبيد عبيدهم ، انظر عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٤٠ ، ابن المجاور ، المستبصر، ص ٧١ ، ابن أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٦١ .

٥ - الهمدانى ، الإكليل ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ .

الثانية فتزعمها من كانوا عبيداً مستضعفين يعملون فى بلاد الدول القبلية فضلاً عن تعصب المؤرخين اليمنيين وميلهم إلى التحقير من شأنهم .

وهنا نطرح قضية الرقيق الذين أقاموا دولاً فى العالم الإسلامى فمنذ أن أقام المملوك أو العبد سبكتكين قواعد الدولة الغزنوية فى غزنة بأفغانستان ، ثم توسع فى جنوب غرب آسيا وشمال الهند وذلك فى أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر القرن العاشر الميلادى ، حين انسلخ من الدولة السامانية ، وظل أسلافه يتوارثون الحكم حوالى قرنين من الزمان[١] ، وتوالى قيام دول أخرى على هذا المنوال حيث عاصرت دولة بنى نجاح هذه الدولة وسارت على نفس النهج وهو السطو على الحكم فى غيبة الأقوياء من بنى زياد ، وفى نفس الوقت أقام عماد الدين زنكى دولة فى الموصل على أنقاض سادته السلاجقة [٢] ، وتلى ذلك فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى قيام دولة المماليك فى مصر على أنقاض سادتهم الأيوبيين متزامنة مع دولة أخرى قامت فى الهند باسم سلطنة دهلى أقامها عبيد العبيد[٣] مثل دولة بنى نجاح على حساب دولة الغور الإسلامية ، كما أن دولة بنى رسول التى قامت فى اليمن على أنقاض الدولة الأيوبية الذين كانوا بدورهم أتابكة لنور الدين محمود[٤] ، كل هذه الدول تشابهت فى ظروف قيامها وهو شراء أطفال لم يبلغوا الحلم وتتم تربيتهم فى البلاط، كان هذا النظام مُتبعًا فى اليمن : فمرجان عبد الحسين بن سلامة يشترى طفلين من الأحباش لم يبلغا الحلم ويربيهم فى بلاط الوزارة ، فيقول ابن المجاور (فاستقرت الوزارة لمرجان وكان له عبدان فحلان من الحبشة رباهما فى الصغر وولاهما فى الكبر أحدهما يسمى نفيس والثانى يسمى نجاح)[٥] فهل هو نوع من المصادفة أم هو إفراز طبيعى لفساد السلطة وأصحاب السلطان ؟.

---

١ - عن قيام الدولة الغزنوية راجع عصام الدين عبد الرءوف ، الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧م ، ٦٧ - ١٤٥ .

٢ - راجع حسن محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، ط٥ ، ص ٥٧٥ .

٣ - عصام الدين عبد الرءوف ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص ٣٥٢ .

٤ - الخزرجى ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدول الرسولية ، ١ ص ٣٢ - ٤١ .

٥ - المستبصر ، ص ٧١ .

تبدأ علاقة العبيد بالسلطة بالدخول فى خدمة الحكام ومن مواقعهم داخل كواليس الحكم يستمدون الخبرة فى أصول الحكم ، وبالتالى يمكن القول أن دولة بنى نجاح ولدت من رحم الدولة الزيادية ، وهو الأمر الذى يختلف مع ما رصدناه سابقًا فى علاقة القبيلة بالدولة ، حيث رصدنا هذه العلاقة بأنها علاقة الند للند ، أما هذه العلاقة فتبدأ بعلاقة سيد بتابع وتنتهى باعتلاء التابع السلطة ، ويبدو أن هذا النظام كان سمة من سمات الحكم الإسلامى خلال العصور الوسطى خاصة فى فترات ضعف الدول وهرمها ؛ فالخلافات داخل الأسر الحاكمة وصراع السلطة هى مدخل هؤلاء إلى الحكم ، وقد يُفضّل الحاكم أن يُورِّث الحكم لعبده بدلا من ابنه أو أخيه ، وهو ما حدث بالفعل فى نهاية الدولة الأيوبية فى اليمن حيث أوصى آخر حكام الدولة الأيوبية فى اليمن الملك المسعود ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م بحكم اليمن إلى أتابكه نور الدين عمر بن على بن رسول ، وجاء في وصيته لأتابكه نور الدين " قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبى فى اليمن ، فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من أخوتى ؛ لأنك خدمتنى وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلى ؛ ولو جاءك الملك الكامل ولدى مطويًا فى كتاب " [١].

استمدت دولة بنى نجاح قوتها من الكمّ الهائل من الأحباش الذين استوطنوا اليمن منذ القدم مهاجرين وغازين وكذلك من خلال الهجرة المباشرة بعد الإسلام إلى اليمن ، فقد أراد نجاح أن يرتكن هو الآخر على عصبية من السود تعضد دولته مثلما كانت الدولة القبلية فى اليمن تعتمد على العصبية ، حيث استكثر منهم وأسكنهم فى مدينة خاصة بهم وهى مدينة حيس[٢] التى لم يكن فيها بيت من العرب [٣] ، وفى المقابل استعان حكام الدولة الصليحية

---

١ - الخزرجى ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، ١ ص ٤٠ - ٤١ ك ينتقد أحد الدارسين هذه الرواية ويرى أنها تفوح منها رائحة المبالغة ، راجع ، محمد بن على عسيرى ، اليمن فى ظل الأيوبيين ، ص ١٥٩ .

٢ - كورة من نواحى زبيد ، بينهما مسيرة يوم ، راجع ياقوت ، أبو عبد الله الحموى ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ٢ص ٣٣٢ .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٣٥ .

بالكثير منهم حتى فى حروبهم مع دولة بنى نجاح نفسها بنى جلدتهم [١]. فعندما هجم سعيد الأحول بن نجاح هو وجنوده على معسكر على بن محمد الصليحى اعتقد الناس أنهم من جملة جنود الصليحى[٢] وقد التفت الصليحى إلى هذا التشابه فى حربه الأولى معهم عندما قال لجيشه : (اعلموا أن عرب هذه الناحية يستولدون الجوار السود فالجلدة السوداء تعم العبد والحر ، ولكن إذا سمعتم من يسمى العظم عزمًا فهو حبشى[٣] فاقتلوه ، ومن سماه عظمًا فهو عربى فاتركوه) [٤]. والنص يدلل على اكتساب المولدين من جوار حبشيات لصفات أمهاتهم الشكلية أما العادات المكتسبة مثل اللغة فهى خاضعة لطبيعة التربية العربية للنشء بعيداً عن أمه ، وبالتالى استطاع الصليحى أن يشق الصف النجاحى مستغلاً الحالة الاقتصادية المتردية للأحباش .

جعل بنو نجاح من جزيرة دهلك[٥] محطة انتظار بين بلادهم واليمن فهى حصن لمن ملك تهامة على حد تعبير الهمدانى[٦] حيث تحصنوا فيها ريثما تستقر الأمور ويلتقطون أنفاسهم ويترقبون ثغرات فى الحكم الصليحى ينفذون منها مرة أخرى إلى السلطة ، حيث قصدها جياش بن نجاح ، وانتظر أخيه سعيد الأحول بن نجاح فى زبيد فى جوار وحماية زعيم خولانى يستطلع الأمر حتى وجد الفرصة المناسبة ؛ فاستدعى الأحباش من دهلك ودخلوا فى معركة مع

---

١ - إذا كان هناك من الأحباش من باع نفسه للصليحى فإن هناك منهم من اعتنق عبد الله شقيق على الصليحى وسقط به على الأرض ، ونادى : اقتلونى أنا والرجل فإن عز قومى رخيص بقتلى ، وفى المقابل كان بعض العرب لا تصبر على حر الطعان . بمعنى أن الحروب وما فيها من دماء وازهاق للأرواح تظهر معدن الإنسان عربيًا كان أم حبشيًا ، راجع ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٩٤ .

٢ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٩٣ ، ٤٩ .

٣ - اللغة الحبشية من اللغات السامية مثل اللغة العربية وتنطق الظاء عندهم صاد وليست زين (عبد الفتاح البركاوى ، مدخل إلى علم اللغة الحديث ، القاهرة ١٩٨٤، ص ٨٥) ولكن يبدو أن العامة ينطقونها زين.

٤ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥٩ المولدون من الجوار السود يتربون تربية عربية وبالتالى عربيتهم سليمة .

٥ - دهلك اسم عجمى معرب وهى جزيرة فى بحر اليمن ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ص٤٩٢ .

٦ - صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨ .

الصليحيين قتل فيها على بن محمد الصليحي ، وانتعش الأمل من جديد في السلطة حيث تسيدوا زبيد من جديد وبسطوا سلطتهم على تهامة سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م بقيادة جياش بن نجاح ت ٤٩٨هـ / ١١٠٦م الذى ما لبث أن تنازع أبناؤه على السلطة بعد وفاته ، وتحالف بعضهم مع أعدائهم الصليحيين ضد بعض إلى أن جاء على بن مهدى وقضى على الجميع [١]، وبالتالي انتهت دولة العبيد في اليمن سنة ٥٥٥هـ/ ١١٥٠م[٢]، لكن ظلت آثارها الاجتماعية في اليمن باقية حتى الآن متمثلة في بعض الصفات الجسمية والشكلية وبعض أنماط المعيشة.

---

١ - عن قتل على بن محمد الصليحي والتاريخ العسكرى والسياسى لخلفاء نجاح راجع ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٩٢ - ١٠٢ .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٧ .

(٣)

الدولة والأبناء

انتفض سيف بن ذى يزن ضد حكم الأحباش واستنجد بالإمبراطور البيزنطى ضدهم ، لكن الإمبراطور رفض التدخل لكون سيف يهودى من نسل ذى نواس [١]، فلجأ إلى كسرى فارس أنوشروان الذى نصره ، وأرسل إلى عدن حملة فارسية من نزلاء السجون الفارسية بقيادة وهريز سنة ٥٧٥م[٢] على أن يتزوج الفرس من نساء اليمن ، وأن لا يتزوج اليمنيون من النساء الفارسيات (لاحظ هذا الشرط المتعسف تبناه أحد الولاة العرب فى اليمن أيام الخليفة المأمون) ، ويرى أحد الدارسين أن فى هذا الشرط نظرة استعلائية على أهل اليمن [٣]، بعد ذلك استطاعت هذه الحملة هزيمة النصارى الأحباش وغزو صنعاء [٤]، هذا الاختلاط والتزاوج أفرز نوعاً جديداً من السكان ذات دماء مختلطة أطلق اليمنيون عليهم لقب الأبناء ، واستتب الأمر لسيف بن ذى يزن على أن يدفع الجزية والخراج السنوى لكسرى أنوشروان .

قتل سيف بن ذى يزن على أيدى عبيده الأحباش انتقاماً منه فعاد وهريز مرة أخرى إلى اليمن ، وأمره كسرى ألا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية أسود إلا قتله [٥]، ومنذ ذلك الوقت تولى الفرس مهمة حكم اليمن حتى دخول الإسلام فأسلم الحاكم الفارسى باذان وأقره

---

1 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen,Lieden 1999, p. 34 .

٢ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ص ٤٤٥ على حسنى الخربوطلى ، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٩م ، ص ٥٢ .

٣ - محمد أحمد محمد ، عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، ص ١١٤ .

٤ - وهب بن منبه ، التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ١٩٦٨م ، ص ٣١٧ ، جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٧٧ .

٥ - محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص ٣٨٩ .

الرسول (ﷺ) واليًا على اليمن [١]، انتقل الصراع على السلطة بين العرب والأبناء فهذه الطبقة الحاكمة التى ظلت تحكم اليمن منذ سيف بن يزن آن لها أن تضعف أمام التغيرات الجديدة التى حدثت في اليمن بعد دخول الإسلام ، وكان أول اختبار حقيقى لقوة الأبناء هو تمرد الأسود العنسى الذى كان فى مجمله ثورة على الحكم الأعجمى ومحاولة للبحث عن السلطان الضائع للقبائل العربية أصحاب الأرض [٢]. خرج الأبناء من هذا المأزق أكثر ضعفًا (صحيح أنهم استطاعوا أن يضعوا نهاية لحياة الأسود بالحيلة والخديعة إلا أنهم خرجوا من محنة ليجدوا اختبارًا أصعب) ، فهذه المرة كان عليهم إمّا أن ينتصروا وإمّا أن يتم نفيهم إلى فارس مهد أجدادهم الأولين ، فقد قرر قيس بن مكشوح حليفهم فى قتل الأسود العنسى[٣] مدفوعًا بعصبية جاهلية أن ينفى الأبناء إلى فارس بعدما رأى من خليفة المسلمين أبو بكر الصديق مساندة لهم ، حيث أقر فيروز الديلمى واليًا على اليمن [٤].

استجار فيروز الديلمى بأخواله من قبيلة خولان من قيس بن مكشوح ، وأرسل الخليفة أبو بكر الصديق المهاجر بن أبى أمية لمعونة الأبناء ضد قيس [٥]، وتم القضاء على هذه الحركة لتعود من جديد علاقة الأبناء بالسلطة على فترات متقطعة حيث استعمل معاوية بن أبى سفيان سعد بن داذويه ثم أقر عبد الله بن الزبير عندما ظهر بمكة الضحاك بن فيروز الديلمى[٦] لتنتهى علاقة الأبناء بالسلطة حيث خضعوا لنظام الأقليات العرقية فى اليمن ، وتعرضوا لبعض المشاكل العرقية ، حيث تعصب والى اليمن فى زمن الخليفة العباسى المأمون يزيد بن جرير بن خالد القسرى للعرب فأمر بطلاق نساء العرب منهم ، وهو أمر عزله بموجبه الخليفة المأمون[٧] الذى كان نتاجًا من زواج عربى بفارسية ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن جد هذا

---

١ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٤٧ .

٢ - انظر قبله .

٣ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٥١ .

4 - Serjeant, SANA, p. 53 .

٥ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ ص ٢٩٦ .

٦ - لمزيد من التفاصيل عن ولاة اليمن راجع قائمة الولاة ، Serjeant, SANA, p. 53 .

٧ - الخزرجى ، اليمن فى عصر الولاة ، ص ٩٤ .

الوالى أسد بن عبد الله القسرى هو الذى استعمل العنف مع الدعاة العباسيين الفرس من أهل خراسان وأذاقهم سوء العذاب وقطّع أعناقهم عندما كان واليًا من قِبَل الأمويين على خراسان[١]، ويبدو أن ترحيلهم إلى عدن فى محاولة نفيهم التى لم تتم زاد من أعدادهم فيها خاصة بعد ازدهارها التجارى ، وعلى الرغم من ذلك فإن لهم بقية فى بعض قرى اليمن [٢]. ويلخص الهمدانى علاقتهم بالسلطة فيقول : كانوا يميلون مع كل سلطان يقدم من العراق عليهم ، يزورون الشهادات ويبرون ويرشون المكائد ، فإذا انقطع ذلك السلطان ألقوا بأيديهم إلى السلم ، ومتوا القديم ونظروا إلى مَنْ حولهم نظر المغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوهم بألسنة حداد وقلبوا لهم الأمور [٣]، وهو قول فيه مبالغة وعصبية مقيتة إلا أنه يعبر عن واقع هذه الفئة التى اعتلت قمة السلطة قبل الإسلام وبعده ثم هوى بها التدافع والتنازع عليها ؛ فحاولت أن تحافظ على وجودها على الساحة اليمنية باتباع مقولة ميكانيلى الغاية تبرر الوسيلة .

---

١ - راجع السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسى الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

٢ - الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٩ .

٣ - نقلاً عن ، إيمان أحمد شمسان ، اليمن فى العصر العباسى الأول ، ص ٨١ .

(٤)

أهل الذمة والدولة

أولاً : النصارى

معلوم تركز النصارى فى نجران ولهم فيها تاريخ طويل قبل الإسلام ، ومحنتهم مع اليهود مشهورة ذكرت فى القرآن الكريم ، وحظوا بعطف الرومان ورعايتهم ؛ إذ أن النظام السياسى الرومانى كان مرتبطًا بالكنيسة ويخدم أهدافها . فقد أرسل الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الثانى (٣٣٧ - ٣٦١م) بعثة مسيحية فى سنة ٣٥٦م برئاسة تيوفيلوس إندوس (Theophilus Indus) إلى اليمن ، أقامت البعثة ثلاث كنائس فى المنطقة ، ثم تزايدت أعداد الكنائس مع الزمن خاصة فى المدن الهامة ، حيث أشارت الاكتشافات الأثرية الحديثة إلى العثور على مسلة نصبت قرب أكبر فرع من فروع سد مأرب سنة ٥٤٩م محفور على جهاتها الأربع نقش يبلغ ١٣٦ سطراً وضمن ما جاء فيه هو بناء أبرهة لكنيسة فى مأرب [١] ، وبدخول الإسلام كان هناك كنائس أخرى فى ظفار ومأرب وعدن ونجران [٢] ، وكانت أهم هذه الكنائس جميعًا كنيسة القليس فى صنعاء التى بناها أبرهة بمعونة الإمبراطور البيزنطى ، حيث أرسل إليه الصناع والفسيفساء والرخام [٣] ، واستهدف أبرهة من بناء الكنيسة تدعيم أركان المسيحية فى اليمن وخلق منافس للكعبة فى مكة التى صارت فى ذلك الوقت مركز الحج والحياة الاقتصادية فى بلاد العرب الشمالية ، واعتقد أبرهة أنه بذلك يستطيع تحويل الحجاج من مكة إلى صنعاء واسترداد الموارد المالية العظيمة التى صارت تتدفق على خزائن مكة [٤] ، كما أن جزائر فرسان التى تجاور سواحل اليمن كان بها كنائس خربت ، حيث تنصّر سكانها قديمًا وهم قبيلة فرسان من تغلب حيث كانت علاقاتهم التجارية مع الحبشة سببًا على ما يبدو فى اعتناقهم النصرانية [٥] .

---

١ - عز الدين باش شاويش ، اليمن السعيد .

٢ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٦ ص ٦١٩ ؛ عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٢٨٦ .

٣ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ ص ٤٤٠ .

٤ - أحمد فخرى ، اليمن ، ماضيها وحاضرها ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٥٦ .

٥ - الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢ - ٧٣ .

نصّب الرومان أنفسهم حماة للدين المسيحى وعليهم يقع عبء نشر الدين وحماية النصارى فى العالم المعروف آنذاك ، وبذلك وقع على عاتقهم حماية نصارى اليمن من الاضطهاد اليهودى ، فقد أفلت أحد النصارى من الأخدود وذهب إلى الإمبراطور البيزنطى جستين (٥١٨ - ٥٢٥م) يستنصره على ذى نواس فقال له الإمبراطور : " بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب إلى النجاشى ملك الحبشة وهو على هذا الدين قريب منكم "[١] فأرسل النجاشى سنة ٥٢٥م جيشًا على رأسه أرياط وفى جنده أبرهة ، ثم نازع الأخير أرياط وقتله ، وتولى القيادة واستولى على الجند والبلاد[٢] ، وكان من أهم نتائج هذه الحملة الحبشية زيادة أعداد النصارى فى اليمن وفرض الأحباش النصرانية على اليهود أيضًا[٣].

أصبحت النصرانية هى الدين الرسمى للدولة فى ذلك الوقت . لم توضح المصادر علاقة النصارى بالدولة فى ظل حكم الفرس لليمن الذين نحوهم عن الحكم بالقوة ، إلا أن الفرس اعتبروا نصارى اليمن الأحباش حثالة الجنس البشرى[٤]، وعندما ظهر الإسلام صالحوا الرسول (ﷺ) على واجبات عليهم وحقوق لهم من الواجبات " حلل الأواقى (الحماية) : فى كل رجب ألف حلة ، وفى كل صفر ألف حلة .. وعليهم عارية (إعارة) ثلاثين درعًا وثلاثين فرسًا وثلاثين بعيرًا إذا كان كيد باليمن " أما حقوقهم فهى " جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم ... لا يفتن أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ، .. وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ... ولهم على ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى أبدًا حتى يأتى أمر الله "[٥].

---

١ - الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ص ٤٣٩ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، تحقيق أبى الفداء عبد الله القاضى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ ، ١ ص ٣٢٤ .

٢ - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ١ ص ٣٢٥ .

3 - Yosef Tobi, The Jews Yemen, p. 34 .

٤ - أحمد فضل بن على محسن العبدلى ، هدية الزمن فى ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١هـ، ص ٥٠ .

٥ - للاطلاع على كتاب الرسول (ﷺ) إلى نصارى نجران ، انظر ، البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، تحقيق ، رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٧٦ .

ظلَّ الأمر على هذا الحال يدفعون الجزية والخراج ، وبالطبع سرى الأمر على كل نصارى اليمن ، وقد يتساءل المرء لماذا خصَّ الرسول (ﷺ) نصارى نجران بهذا الكتاب دون عامة نصارى اليمن ؟ والجواب يبدو فى سببين الأول : الكثافة العددية لهم فى نجران ؛ إذ يخبرنا البلاذرى[1] أن عددهم فى نجران بلغ نحو أربعين ألفًا ، ويبدو أن صاحب الرواية عند البلاذرى كان تقديره بناء على الجزية أو الخراج الذى كان مفروضًا عليهم ، ولم يضع فى الاعتبار باقى الأفراد المعافين من الضريبة ، ومع ذلك فإن هذا الرقم يتناسب مع مدينة ليس لها أي عوامل جذب للنصارى غير قيمتها التاريخية بالنسبة لهم ، والدور الذى تلعبه فى التجارة فى شبه الجزيرة . أما السبب الثانى : فهو ثراؤهم حيث امتلكوا الأراضى والعقارات[2] بجانب عملهم فى التجارة وعلاقتهم المباشرة مع مكة حيث كانت مدينة نجران (عليها المعول فى البيع والشراء)[3]. كانت هذه أول علاقة للنصارى بالسلطة فى ظل الإسلام ، فقد اعتلوا هرم السلطة فى اليمن قبل الإسلام لمدة قد تزيد عن نصف قرن ، ثم أذعنوا لسلطة اللفرس لمدة تقل عن نصف قرن بقليل ، ويبدو أن ما تمتعوا به من سلطة وسلطان وجبروت فى فترة حكمهم انقلب عليهم فى فترة الحكم الثانية وانزووا فى غياهب النسيان ، ولم ينهض بهم إلا ظهور الإسلام .

أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نصارى نجران إلى الشام والنجرانية بناحية الكوفة ، ويعود ذلك لنقضهم ما صالحهم عليه الرسول (ﷺ) بأكلهم الربا ، كما أن البلاذرى يضيف سببًا آخر بناء على رواية أحد رواته وهو التنافس والتحاسد فيما بينهم ، حيث أتوا عمر بن الخطاب وقالوا له أجلنا[4] وأيًا ما كان الأمر فى جلائهم نقضهم العهد أو التنافس ؛ فإن الأمر لم يتعد غيرهم فى الجلاء وظل باقى نصارى اليمن يزاولون أعمالهم فى حرية كاملة ويدفعون الجزية[5] وحتى من أجلى من نصارى نجران سرعان ما عاد إليها خاصة بنو الحارث ؛ إذ يبدو أن هناك عصبية لهم فى تلك المنطقة مكنتهم من العودة ، حيث امتلكوا الضياع وكوَّنوا

---

١ - البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٧٧ .

٢ - نفسه ، ص ٧٨ .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٠٩ .

٤ - البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٧٧ ، ٨٧ ، ١٦٠ .

٥ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٦ ص ٦٢٠ .

ثروات كبيرة من التجارة[١] . شكّل النصارى تهديداً للأمن القومي اليمني خاصة أنهم يعتنقون نفس عقيدة البيزنطيين والأحباش المتربصين بشبه الجزيرة [٢]. ويبدو أن قرار الجلاء كان خاصاً بنصارى نجران فقط ؛ ولم يمتد ليسرى على باقى نصارى اليمن الذين عاشوا فى أمن وحرية ، ولم ترصد كتب التاريخ أى صدام لهم لا مع المسلمين ولا مع السلطة ، وقد يرجع ذلك لسببين الأول : قلة أعدادهم فى المدن الأخرى مقارنة بإخوانهم فى نجران والسبب الثانى : هو فيما يبدو ضعف قوتهم الاقتصادية فى هذه المدن ، وتعزو قلة الإشارات إلى نصارى اليمن خلال العصور الوسطى إلى ضعف انتشار المسيحية بين أهل اليمن خاصة بعد ظهور الدين الجديد ، والدليل أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية فى عصر ما قبل الإسلام ، وترجم إلى لغات البلاد التى انتشرت فيها المسيحية بشكل واسع ، وليس ثمة ما ينهض دليلاً على أن الكنائس اليمنية استخدمت اللغة العربية ، ويغلب على الظن أنها استخدمت السريانية أو العبرية [٣].

وعلى الرغم أن نصارى نجران كانوا أهل عصبية لكنهم لم ينحازوا لعلى أو معاوية والتزموا الحياد فى هذه الفتنة فليس هناك ما يمكن التضحية من أجله ؛ فالنزاع يخص المسلمين بعضهم بعضاً يظهر ذلك بوضوح فى مقالة بسر بن أرطأة قائد معاوية لنصارى نجران " والذى لا إله غيره لئن بغنى عنكم ما أكرهه لأكثرن من قتلاكم "[٤] وهو قول واضح لا لبس فيه من التزام النصارى بالحياد ، وهو عمل عاقل أمام فتنة إسلامية داخلية التدخل فيها لصالح أحد الطرفين فيه خسارة وإن كسب من تحالفوا معه ، لكن نزاع المصالح الخاصة البعيد عن ما يضر بسلطة الدولة كان حاضراً من خلال نزاعهم مع بطون همدان التى تسكن نجران مما

---

١ - هم بنى حارث بن كعب بن علة بن جلد بن مالك وهو من مذحج ضربوا فى نجران . أسلمت كثير من بطونهم على أيدى خالد بن الوليد سنة ١٠هـ/ وفد زعمائهم وأعيانهم على الرسول (ﷺ) بصحبة خالد بن الوليد فقال من هؤلاء الذين كأنهم من رجال الهند ، الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص٤٥ ؛ عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٢م ، ص ٢٨٩ .

2 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 37 .

٣ - عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٢٨٦ .

٤ - اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ٢ ص ١٩٩ .

استدعى تدخل الدولة ، ويبدو أن كثرة عددهم فى نجران وقوة شوكتهم بانتمائهم إلى بنى الحارث وغناهم جعلهم نداً لسكان نجران المسلمين ، حيث قدم الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين أمام الدولة الزيدية من صعده سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م بعسكر كثيف لإعادة الأمن المفقود إلي المدينة ، وأنهى النزاع وصالح الأطراف ورد المظالم وأعاد إلى النصاري ضياعهم التى سلبت منهم ، وقرر أن يضع حلاً لضريبة الأرض عند أهل الذمة من النصارى واليهود حتى يحقق التوازن بين الشريعة والواقع ، ويزيل الحقد الطبقى بين المسلمين وأهل الذمة ؛ فأهل الذمة سارعوا إلى شراء الأراضى الزراعية من المسلمين ، وانعدم العشر على هذه الأرض ؛ لأنه لا زكاة على ذمى ، وبالتالى انقطع مورد مالى كبير كان ينتفع به المحتاجون ؛ فقرر الهادى إلى الحق ضريبة التسع على أراضيهم التى تسقى سيحًا أو بماء المطر ونصف التسع على التى تسقى بمشقة ، وهو نوع من الاجتهاد الفقهى من جانب الهادى حتى لا يتساووا بالمسلمين الذين يدفعون العشر ، كما قرر الجزية التي أقرها عمر بن الخطاب ، وكتب عهداً بما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق ، واشترط عليهم بأن يعملوا بهذا الصلح حقنًا لدمائهم وأشهد على هذا الصلح جمعًا من نصارى نجران وجمعًا من المسلمين [١].

يبدو أن أعداد النصارى الذين سكنوا اليمن فى العصور الوسطى بدأ فى التناقص بسبب اعتناق الإسلام أو الهجرة ، حيث يقرر ابن المجاور[٢] أن سكان جميع اليمن " حنابلة المذهب .. ومن الأديان اليهود خلاف جميع الملل " وفى مكان آخر يقرر وجود نصارى فى نجران عندما يرصد سكانها حيث يقول (وينقسم أهلها على ثلاث ملل : ثلث يهود وثلث نصارى وثلث مسلمين)[٣] . فمن المعقول أن يهجروا البلاد إلى مناطق أخرى بجوار إخوانهم فى الدين خاصة تلك الجماعات النصرانية التى لا ترتبط بعصبية فى البلاد ؛ لذلك نجد أن تواجدهم فى مدن اليمن الداخلية كان قليلاً جداً بالمقارنة مع تواجدهم فى المدن التجارية البحرية والبرية ، حيث نجدهم يشاركون فى تجارة عدن التى جذبت الكثير من الأجناس ذوى الملل والأديان

---

١ - يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، ص ١١ ؛ عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٢ - المستبصر ، ص ٢٨٠ .

٣ - المستبصر ، ص ٢٠٩ .

المختلفة سعيًا وراء التجارة التى ازدهرت فيها منذ أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، فقد كان المسلمون مع الفرس والنصارى قبل هذا التاريخ يشاركون بنصيب وافر فى التجارة الخارجية بين عدن والهند ثم لعبوا مع اليهود دورًا أكبر فى فترة الازدهار بتشجيع من الحكومة الفاطمية[1]. ويذكر أنه كان فى عدن أسقفًا حتى سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وكان فى منطقة صنعاء خمسة أساقفة حتى أواخر الدولة الأيوبية [2]، وهذا العدد الكبير للأساقفة فى صنعاء يدلل على كثرة النصارى فى العاصمة القديمة ، وسعيهم دومًا إلى العيش فى المدن الكبرى بالقرب من السلطة ، والانخراط فى العمل التجارى ، وفى المهن المختلفة بعدما انتهت سطوتهم فى نجران ، كما أن وجود أسقف للنصارى فى مدينة زبيد سنة ٦٠٨هـ / ١٢١٠م[3] يؤكد أيضًا على ارتياد النصارى للمدن الكبرى فى اليمن بحثًا عن فرصة العمل التجارى والحماية من جانب السلطة ، ونخلص من ذلك إلى التواجد النصرانى ظلّ له صدى فى اليمن حتى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى على أيام الدولة الرسولية وتركز معظمه فى المدن اليمنية الكبرى ، وذلك عكس ما اعتقده بعض الدارسين[4] بأنهم اعتنقوا الإسلام تدريجيًا ولم يصبح لهم وجود : وبالتالى لم تذكرهم المصادر بعد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . اتسمت علاقة النصارى بالسلطة بالحذر وابتعدوا عن المشاركة فى التنازع عليها لضعف قوتهم وقلة حيلتهم ورأوا أن عملهم بالتجارة وبالحرف هو طريقهم للعيش داخل المجتمع اليمنى .

ثانيًا : اليهود

تهوّد عرب اليمن زمن أسعد أبى كرب الحميرى الذى حكم فيما بين سنتى ٣٨٥ - ٤٢٠م تقريبًا : فهو (أول مَنْ أخذ بدين اليهودية) ، وذكر فى سبب تهوُّده أنه لمّا غزا المشرق مرَّ

---

1 - Werner Daum, From Aden to India and Cairo, : Jewish World trade in the 11th and 12th centuries, in Yemen 3000 years of art and civilization in Arabia Felix, ed. Werner Daum Frankfurt, 1987, p. 169 .

٢ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٦ ص ٦١٩.

٣ - جواد على ، المصدر السابق .

٤ - إيمان أحمد شمسان ، اليمن فى العصر العباسى الأول ، ص ٨٤ .

بيثرب فملكها ، وتهوَّد على يد حبرين من أحبار بنى قريظة[١] ويرى أحد الدارسين[٢] أن اعتناق الملك الحميرى للدين اليهودى لم يكن لمجرد إعجابه بفصاحة وبلاغة الحبرين ؛ خاصةً أن العرب هم أهل الفصاحة والطلاقة ، بحيث تتضاءل أمامها فصاحة هؤلاء اليهود ، بل أن السبب يكمن فى أن هذين الحبرين قد نجحا فى إقناع الملك بأن اعتناقه اليهودية سيدعم نفوذه السياسى فى بلاده ، ويخلِّص بلاد اليمن من الفوضى والانقسامات الدينية التى كانت تهدد وحدتها ، وبالتالى كان التهُّود من أجل السلطة والحكم ، وظلت اليهودية هى الدين الرسمى للدولة اليمنية ما يزيد عن قرن من الزمان ولم يترك اليهود السلطة إل قسراً عندما غزا الأحباش النصارى اليمن سنة ٥٢٥م [٣]، وعانوا معاناة الأقلية الدينية وشربوا من نفس الكأس الذى أذاقوه للنصارى ، لكن لم تطل المدة عن قرن من الزمان حتى دخل الإسلام اليمن فقنن وضع أهل الذمة فى الأمة الإسلامية .

انحصر سكن اليهود عند ظهور الإسلام فى المواضع الخصبة وطرق المواصلات والتجارة البرية والبحرية من جزيرة العرب ، وانحصر عملهم فى التجارة والربا وفى الزراعة وفى بعض الصناعات التى تخصصوا بها وهى أمور جعلت لهم نفوذاً عند سادات القبائل والأمراء والملوك[٤]، وبالتالى لم يكن خروجهم سهلاً من اليمن مثل النصارى الذين خرجوا أيام عمر بن الخطاب ، ولم ينقل عن أى من الخلفاء الراشدين أنه أجلى يهوداً من اليمن ، وإنما أجلى عمر بن الخطاب يهود خيبر إلى تيماء وأريحا من أرض الشام[٥] ، وهناك من الأسباب التى تؤيد

---

١ - عن أصل اليهودية فى اليمن راجع وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩م ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٢ ص ٦١ ؛ عبد الرحمن بشير ، عدن واليهود ، وقائع تاريخية ، مركز الدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ٢٠٠٤م .

٢ - على حسنى الخربوطلى ، العلاقات السياسية بين العرب واليهود فى العصور القديمة والإسلامية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٤٦ .

٣ - الهمدانى ، الإكليل ، ٨ ص ٢٢٦ .

٤ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٦ ص ٥٤٩ .

٥ - صالح بن داود الأنسى ، فتح الملك المعبود فى ذكر إجلاء اليهود ، تحقيق محمد عيسى الحريرى ، ندوة التاريخ الإسلامى ، المجلد الخامس (١٩٨٥م) ص ٢٢٠ .

بقاءهم فى اليمن باعتبارهم جماعات متفرقة مبعثرة داخل البلاد ويعملون فى الأعمال التى يأنف منها العرب ولا غنى عنها للمجتمع ، كما أن اليهود لم يكن يمثلون أي تهديد للأمن عكس النصارى الذين كانوا يعتنقون نفس عقيدة البيزنطيين والأحباش المتربصين بشبه الجزيرة[١]. وظل اليهود في اليمن يدفعون الجزية لحكام البلاد ، وينتحل صالح بن داود الأنسى الأعذار للخلفاء الراشدين ولحكام الشمال اليمنى الزيديين لعدم إجلائهم لليهود من البلاد بانشغالهم بالعديد من المهام التى تعتبر أخطر من هذا العمل [٢].

أتاح النظام القبلى فى اليمن فرصة لليهود فى التمتع بالحماية ، حيث عاش اليهود فى جوار وذمة القبائل اليمنية وهذا النظام وفر لهم الحرية فى شراء الأراضى الزراعية وجعلهم أعضاء نشطاء خاصة فى مجتمع نجران [٣]، حيث كانوا يمثلون ثلث المجتمع فى المدينة خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى [٤]، أما فى مدينة صنعاء عاصمة اليمن القديمة فبلغت نسبتهم فيها سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م[٥] أكثر من ٣,٥٪ بقليل من مجموع السكان[٦]، ويبدو أن قلة عددهم فى صنعاء عنه فى نجران راجع إلى اعتناق الكثير منهم الإسلام على أيدى معاذ بن جبل فى القرن الأول الهجرى [٧]، كما سكنوا مدينة صعده فى شمال اليمن ولهم بها معبد تعرض للحرق سنة ٥٤٧هـ / ١١٤٢م من جانب الإمام الزيدى أحمد بن سليمان عندما أكثروا الفساد فى مجتمع المدينة [٨].

---

1 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 37 .

٢ - الملك المعبود ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .

٣ - يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، ص ١١ .

٤ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٠٩ .

٥ - الرازى ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ١١٤ ؛ الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٣١ .

٦ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، ص ٣١ .

٧ - الخزرجى ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

٨ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

ضيقت الدولة فى عهد على بن مهدى على اليهود[١] كما ضيقت على غيرهم من أهل البلاد المسلمين[٢]، ويبدو أن هذا التضييق كان نتيجة روح التسامح والحرية السياسية والاقتصادية والمذهبية التى تمتع بها اليهود فى عصر الصليحيين الشيعة الموالين للفاطميين ، خاصة أن موقف الدولة الفاطمية معروف تجاههم ، حيث زادت مكاسبهم الاقتصادية ، وتقرّبوا من أصحاب السلطان ممّا أوغر صدر المتمرد الجديد عليهم ، نجا من هذا الموقف يهود عدن الذين يتبعون دولة بنى زريع الشيعة ، وكذلك الشمال الذين تمتعوا بحماية الزيديين . تبوأ يهود عدن قيادة اليهود فى أنحاء اليمن نتيجة قربهم من أصحاب السلطان وكذلك سيطرتهم على النواحى التجارية فى المدينة ، وتغير وضعهم الاجتماعى من ضعفاء يندرجون تحت حماية القبائل اليمنية إلى أقوياء يتمتعون بحماية حكام المدينة ، واختلطوا بأهلها [٣]، وتمتعوا بحق المواطنة والمساواة مع أهل المدينة [٤]، وبدءوا يخططون للسيطرة على التجارة فى عدن من خلال حماية حكامها لهم حيث أسند سبأ بن أبى السعود (٤٨٩ - ٥٣٣هـ / ١٠٩٥ - ١١٣٩م) الذى دام حكمه لعدن ما يقرب من ثلاثة وأربعين عامًا ؛ عدداً من الإصلاحات الاقتصادية كان أهمها هو تنظيم العمل فى الميناء ، وعهد بهذه الإصلاحات لرئيس اليهود مضمون بن حسان[٤] الذى كان شريكًا لصاحب السلطة الفعلية فى عدن نائب الزريعين بلال ابن جرير [٥]، واجتمعت الثروة والسلطة لليهود ، وظل خلال عصر الأيوبيين ، حيث ظهرت

---

1 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 41 .

٢ - راجع عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ؛ ابن مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ١٢٨ .

3 - Goitein, Jews and Arabs, : Their Contacts Through The Ages, New Yrk, 1974, p. 74 .

4 - Eliyahu Ashtor, The Jews and Mediterranean Economy 10th - 15th centuries, London, 1983, p. 165 .

٥ - المستبصر ، ص ١٤٠ ؛ جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٤ ، وعن أسرة زعيم اليهود مضمون بن حسان وعلاقتهم التجارية فى عدن ومع السلطة فى عدن ، راجع ، عبد الرحمن بشير ، عدن واليهود ، مجلة وقائع تاريخية ، مركز الدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، ٢٠٠٤ .

طبقة جديدة من اليهود فى عدن وهم تجار الكارمية الذين سيطروا على التجارة الهندية وظلت تعمل لمدة ٣٠٠ سنة من سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م حتى ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م [١].

زادت سطوتهم فى ظل الدولة الرسولية حيث كانوا أصحاب السلطة الفعلية فى أهم مرفق من مرافق التجارة الداخلية والخارجية ، حيث أسند إلى خلف بن مضمون قيادة فريق عمل لوضع التشريعات وسن القوانين الخاصة بالضرائب والجمارك فى عدن ، وظلت هيمنة اليهود على عصب الحياة الاقتصادية فى عدن ومينائها . هذه المكانة التى أحرزوها لدى الحكام ، والثروة التى جمعوها جعلتهم يأتون بأفعال من شأنها أن تجلب عليهم غضب العامة من المسلمين وسخطهم ، حيث استحدثوا ضرائب على التجار ، وشغلوا الناس عن صلاة الجمعة مما دفع أحد الفقهاء إلى قتل اليهودى المسئول عن هذه الأعمال وعرَّض نفسه للحبس من جانب السلطان[٢]، كما أن منزلة اليهود لدى السلطان جعلتهم يتغاضون عن الالتزامات التى اشترطها الشرع على أهل الذمة ؛ ففى عهد السلطان الرسولى نور الدين تقابل القاضى الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل المازنى ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م مع طبيب يهودى يعمل لدى السلطان راكبًا بغلة ؛ فألقاه على الأرض وضربه بنعله . فاشتكى اليهودى إلى السلطان فأرسل معه رسول إلى الفقيه وقال لليهودى : تقدم مع الرسول إلى الفقيه ليعرفك ما يجب عليك من الشرع أن تفعله[٣]، ولم ينكر السلطان على الفقيه ما فعله باليهودى لمكانة الفقهاء وخوفًا من غضب العامة بحساب التوازنات . هذه الأعمال تنم عن اطمئنان اليهود للسلطة فهم فى بلاط السلطان يمرحون ويه وبحمايته يتفاخرون ، وربما أساءوا إلى المسلمين وهم يعلمون أنهم فى مأمن من العقاب .

---

1 - Werner Daum, From Aden to India and Cairo Jewish world trade in the 11th and 12th centuries, p. 169 .

٢ - عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى السكسكى اليمنى ، طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق عبد الله محمد مرسى ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ١٩٩٤ ، ص ١٧٨ .

٣ - الخزرجى ، على بن الحسين ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح وتنقيح ، محمد بسيونى عسل ، القاهرة ١٩١٤م ، ١٦٦ - ١٦٧ .

خالف اليهود الشرع الإسلامي وبنوا معابد جديدة لهم حيث تصدى لهم الفقهاء ؛ ففى دولة بنى رسول ألزم الفقيه شرف الدين إسماعيل بن عبد الله ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م اليهود بالزنار وخرب ما أحدثوه من معابد [١]، وهذه المخالفات على ما يبدو كانت لإحساس اليهود بمساندة السلطة لهم ، ووصل الأمر بهم أن تهجموا على الرسول (ﷺ) ؛ ففى عدن احتكم المسلمون إلى القاضى جمال الدين بن محمد بن سعيد (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م) الذى تولى قضاء عدن سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م من قبل الحكام الرسوليين فأمر القاضى بحبس اليهودى الذى تهجم على الرسول الكريم[٢] إلا أن الجمع الغفير لم يسمع حكم القاضى لكثرة الهرج والمرج بل توهم الأكثرية منهم أنه قال لهم أقتلوه فرماه مصرى يقيم فى عدن بحجر فى رأسه أرداه قتيلاً [٣].

علاقة اليهود بالدولة فى اليمن كغيرها من علاقات اليهود بالسلطة فى كل مكان فهى علاقة مصلحة وأينما حلَّ السلطان حلوا معه ؛ ففى البداية كانت حمايتهم من جانب القبائل التى مثلت الحكومة المركزية فى اليمن فمنهم من رأى أن مصلحته فى عدم مفارقة هذه البطون باقية في اليمن أم خرجت لتشترك فى الفتوحات الإسلامية ، فمن الناحيتين كسب لليهود ، وكان لهم شأن فى البلاد المفتوحة ، وفى اليمن كان الفراغ السكانى سببًا فى زيادة امتلاكهم الأرض واستقرارهم لكن الاستقرار فى ظل هذا البحر المتلاطم من العصبيات والنزعات المذهبية يتطلب قدرة ومهارة على المواءمة بين مصالحهم ، ورضاء السلطة أيًا كانت للقبيلة أو للدولة ، ويبدو أن الحفاظ على علاقات قوية مع القبيلة كان أهم من علاقة الدولة خاصة فى الفترة الأولى من دخول الإسلام حتى دولة الصليحيين وآل زريع ؛ عندما توحدت اليمن تحت زعامة على بن محمد الصليحى وأمسك بتلابيب السلطة ، حيث وصلت العلاقة فيها بين اليهود والدولة إلى أعلى منحنى لها فى اليمن ، صاحب ذلك تدنى مستوى العلاقة مع القبيلة خاصة فى المدن التى انعدمت فيها العصبية ، وفترات التوتر مع الدولة فى اليمن كانت قليلة وقصيرة سرعان ما تعود مرة أخرى للانتعاش ؛ لذلك استمر الوجود اليهودى فى اليمن حتى ثورة ١٩٦٢م وهذا دليل على العلاقة الوطيدة بين اليهود والسلطة حيث لم يفرقهم عنها إلا الدعوة العنصرية الصهيونية بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ؛ بيد أن القليل منهم فضّل عدم ترك اليمن ومازالوا هناك حتى الآن .

---

١ - السكسكى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢١٩ .

٢ - استعان به أحد المقعدين المسلمين فقال له اليهودى (اترك محمد ينفعك ويقيمك) ، راجع ، السكسكى، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٢٣ .

٣ - السكسكى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٢٣ .

(٥)

الدولة والمرأة

منذ القدم والمرأة فى اليمن لها علاقة بالسلطة داخل الأسرة وفى القبيلة وفى المعبد ثم فى الدولة ، حيث ساد فى عصر ما قبل الميلاد ما يسمى بالنظام الأموى - بمعنى سيادة الأم فى الأسرة - داخل بعض القبائل اليمنية خاصة التى تضرب فى البادية وهو عكس النظام الأبوى المعروف ، ويبدو أن هذا النظام ظل متبعًا مع بعض التغيرات التى تلائم كل منطقة طبقته[١]، ومن بقايا هذا النظام فى اليمن ما هو موجود فى منطقة ظفار على سبيل المثال ؛ حيث لا يباح للمرأة حلب الماشية كما لا يباح لها أن تطهو الطعام ، فهذه الأعمال تعتبر من الأعمال المخصصة للرجال ، ويقتصر عملها على الرعى ورعاية الماشية وجمع الحطب وجلب الماء وهى وظائف خارجية أما الوظيفة الأساسية لديها هى الإنجاب [٢]، كما تقلدت منصب الكاهن لمعبد الإله " عم " فى دولة قتبان [٣]، وامتد هذا النظام ليشمل القبيلة حيث ينسب الكثير من القبائل العربية اليمنية إلى امرأة ؛ فقبيلة تجيب تنسب إلى تجيب امرأة شأرس بن السكون ابن أشرس بن كنده ، وكذلك قبيلة عاملة تنسب هى الأخرى إلى امرأة من قضاعة وولدت للحارس بن عدى بن مرة بن أدد الكهلانى ؛ فنسب إليها ولدها [٤]، كما أن هناك بطن من خولان يدعى بنى فطيمة [٥]، ومعلوم طبيعة اليمن من حيث المناخ والجغرافيا التى تؤثر فى حياة الفرد حيث تصبح القوة العضلية من أهم شروط الحياة فى هذه المنطقة لكن يبدو أن المرأة تغلبت على ذلك باستعمال عقلها وذكاءها ، وتبدو الصور أوضح من خلال استمرار هذا الوضع

---

١ - المتعارف عليه فى الإسلام هو إرجاع النسب إلى الأب أما الانتساب إلى الأم فإنه قليل الوقوع ، راجع جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ١٩٩٣م ، ١ ص ٥٢٧ .

٢ - برترام توماس ، بلاد اليمن السعيد ، ص ١٣٧ .

٣ - محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص ٢٥٦ .

٤ - المقرى ، أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨م ، ١ ص ٧٨ ، ٢٩٦ ؛ كمصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية فى الأندلس ، الدار البيضاء ، ص ٤١٦ .

٥ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ص ١٦٧ .

حتى في ظل الإسلام ؛ ففى أيام بنى رسول تقلدت امرأة زعامة قبيلة المعازبة ، وكانت تدعى بنت عاطف [١].

تتضح علاقة المرأة أكثر بالسلطة في اليمن في تقلدها قمة الهرم السياسى في الدولة فبعد أن كان لها دورها القيادي في الأسرة ثم في القبيلة جاء دورها لتولى سلطة الدولة حيث اعتلت بلقيس عرش مملكة سبأ ، وكان لها مع النبى سليمان علاقات وبعض المصادر تؤكد زواجه منها[٢] وتحدد مدينة بعلبك بالشام مهراً لها[٣] لكن الذى يهمنا هنا هو قدرة المرأة على تصريف الأمور في الدولة ، وامتثال الذكور في هذا المجتمع الذكورى لقرارتها ، ويبدو أنها أظهرت من الحكمة ما جعلها تتمكن من أعناق الرجال ، حيث ينسب إليها بناء سد مأرب بعد سنوات اقتتال بين القبائل على الماء [٤]، ويبدو أنها أصبحت بعد ذلك قدوة ومثالاً لنساء اليمن في ظل الإسلام الذى جاء ليأطر الأدوار الاجتماعية ، ويضع الأمور في نصابها فيما يتعلق بدور المرأة والرجل .

والصورة الأبرز لنساء يمنيات أثروا في الحياة اليمنية وكانوا أصحاب سلطة تبدأ مع الدولة الصليحية بحسن تصرف السيدة أسماء زوجة على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة ووالدة المكرم الذى خلف والده ، حيث أسرها بنى نجاح بعد قتل زوجها ؛ فألهبت مشاعر ولدها ومشاعر قبيلتها والقبائل المتحالفة معها بخطاب فيه من الجرأة أكثر من الخدعة التى أرسلته بها ، فقد أرسلت إلى ولدها المكرم رسالة تحريض على فك أسرها ادعت فيها أنها حملت من العبد الأحول (سعيد الأحول) زعيم النجاحيين ، وأرسلت رسالتها في رغيف خبز عن طريق

---

١ - أسامة أحمد حماد ، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي ، عصر بنى أيوب وبنى رسول ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٧٧ .

٢ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ١ص ٢٩٢ ، ويروى ابن الأثير أن النبى سليمان أحبها حبًا شديداً فبعد زواجه منها ردها إلى ملكها باليمن وكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام ، الكامل ، ١ ص ١٨١ .

٣ - ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٤٥٤ ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٥٦ .

٤ - ابن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م ، ٢ ص ١٦١ .

سائل ضعيف(١) وإرسال الرسالة فى داخل رغيف الخبز ينّم عن ذكاء فطرى لدى السيدة أسماء، وتقابلنا هذه الحيلة فى تاريخ فتح بلاد المغرب مع حسان بن النعمان الغسانى والكاهنة زعيمة قبيلة جراوة البربرية عندما أرسل خالد بن يزيد الأسير لدى الكاهنة رسالة إلى قائد حسان فى رغيف خبز يدله فيها على عورات جيش الكاهنة(٢) . وظلت السيدة أسماء تمارس الحكم بتفويض من ولدها حتى وفاتها(٣) .

السيدة الثانية والأكثر شهرة فى تاريخ اليمن الوسيط كانت أروى زوجة المكرم وهى التى تربت وتأدبت على أيدى السيدة أسماء أم المكرم السابقة الذكر فى بيت الصليحى(٤) ففاقت التلميذة معلمتها . تزوجت أروى من المكرم سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٤٥م فى حياة أبيه على بن محمد الصليحى ودفع الأخير خراج مدينة عدن مهراً لها(٥)، واختيار عدن له دلالة تقدير من الصليحى لهذه المرأة ؛ إذ أن خراج عدن فى ذلك الوقت يعد أعظم خراج فى الدولة من حيث امتلاكها ناصية تجارة الترانزيت بين الشرق والغرب(٦) ويبدو أن على بن محمد الصليحى أراد أن يكون مهر الحرة أروى مثل مهر بلقيس مما جعل المؤرخين يلقبونها ببلقيس الصغرى(٧)

---

١ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٥٦ .

٢ - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٤ ص ١٣٦ .

٣ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ .

٤ - كان على بن محمد الصليحى يخص أروى فى صغرها بالعطف والكرم ، وكان يقول لأسماء : " أكرميها فهى والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر (الحكم) على من بقى منا " انظر ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ .

٥ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦١ .

٦ - راجع عبد الرحمن بشير ، عدن واليهود .

٧ - يبدو أن شخصية بلقيس استهوت الحرة وأرادت أن تحاكيها ، فبعد موت زوجها المكرم أراد القائد سبأ بن أحمد الزواج منها فرفضت فأرسل للمستنصر الفاطمى طالبًا منه أن يأمرها بذلك فهو صاحب الشرعية والزعيم الروحى لشيعة اليمن فكتب المستنصر رسالة من ثلاثة سطور يأمرها فيها بنكاح سبأ فردت على رسول المستنصر " أما كتاب مولانا فأقول فيه : أنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا أقول فى أمر مولانا : يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون " انظر ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٨ .

والسيدة الحرة[١] الملكة . بعد وفاة السيدة أسماء أم زوجها المكرم وحاضنتها ومعلمتها فوّض المكرم الأمر إليها بسبب مرضه بالفالج [٢]، وهذا التفويض جعل منها سيدة دولة من الطراز الأول ؛ فالبعد الاستراتيجي بنقلها عاصمة الدولة من صنعاء المتطرفة في الشمال والتي كانت مطمعاً لكل القبائل إلى ذي جبلة تلك المدينة التي تقع على سفح جبل ما بين نهرين جاريين صيفاً وشتاءً يطل عليها من هذا الجبل حصن التعكر[٣] يجعلها في حماية طبيعة ، كما أن صنعاء ارتبط اسمها باسم الخلافة العباسية وتريد أروى أن تخلّد ذكر دولتها بعاصمة مستقلة وقدرتها على الإقناع جعلت زوجها المكرم يوافق على الانتقال معها إلى ذي جبلة بعد أن عرضت له مزايا العاصمة الجديدة وعيوب صنعاء [٤]، حيث صدق حدسها عندما خرجت صنعاء من الحظيرة الصليحية لصالح السلاطين الهمدانيين بعد موت القائد سبأ بن أحمد الصليحي [٥].

اهتمت الملكة أروى بالزراعة وتربية الحيوانات لتوفير الدعم المادي لحكمها ، حيث أوقفت نواحي ذي جبلة وبعض الحقول تصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر ، كما أوقفت أراضي ثمينة خصبة لرعي المواشي [٦]، وبعد أن استقر بها الحال في ذي جبلة قررت أن تأخذ ثأر الصليحيين من سعيد الأحوال النجاحي الذي قتل مؤسس دولتهم علي بن محمد

---

١ - الحرة هي نقيض الأمة ، والجمع حرائر (ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ص ١٨١) وهو لفظ كان يسبق بعض من اشتهرن من نساء الأسرات الحاكمة حيث يقابلنا في بلاد الأندلس يطلق على أخت زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين الحرة حواء بنت تاشفين والتي عاصرت الحرة أروى انظر (ابن عذاري ، البيان المغرب ، في أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ ص ٥٦ - ٥٧) .

٢ - يروي عمارة وينقل عنه من جاء بعده أن سبب تفويض الأمر للحرة تفرغ المكرم للهو والسماع والشراب وعكوفه على الملذات ثم يعود ويقول أنه أصابه الفالج وعكف على الملذات فهل يتسق مرضه بالفالج مع معاقرة الخمر والاستمتاع بما لذ وطاب ، انظر ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ -٦٣ .

٣ - ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٦ .

٤ - راجع عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٢٦١ ؛ ايمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٣٨٧ .

٥ - انظر قبله .

٦ - حسن سليمان محمود ، الملكة أروى سيدة ملوك اليمن ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٩٢ .

الصليحى، ووضعت خطة للإيقاع به وتم لها ذلك [١]. وخلع الخليفة الفاطمى المستنصر عليها الألقاب فلقبها " بالحرة الملكة ، السيدة الرضية الزكية وحيدة الزمن . سيدة ملوك اليمن. عمدة الإسلام ذخيرة الدين . عصمة المسترشدين . كهف المستجيبين . وكافلة أوليائه الميامين "[٢] ولية أمير المؤمنين ، واعتبر الخليفة المستنصر السيدة أروى مثالاً أعلى للمرأة ، لتقلدها قلائد التقوى ولكفاءتها فى إدارة شئون البلاد ، وليقظتها فى أمور الدعوة الفاطمية ؛ ولذلك لا يعدها من ضمن أرباب الحجاب [٣]، كما أن هذا التقليد من جانب المستنصر يطرح قضية ولاية المرأة فى الفقه الشيعى الإسماعيلى : فهناك توافق سنى شيعى حول عدم ولاية المرأة لكن يبدو أن البيئة والسياسية لعبتا دوراً هامًا فى قبول هذه الحالة بما فيها من تعارض للفقه للحفاظ على المصالح الفاطمية فى اليمن وفى سبيل تمكينها من الولاية استعانت الملكة أروى بمستشارين من مصر [٤]. ومن الطبيعى بل ومن المنطقى أن تستعين الحرة ببنى جنسها بجانب الرجال تستأنس برأيهن وتبتغى منهن المشورة ، ويبدو أنهن كانوا على شاكلتها من رجاحة العقل وسمو الفكر فالبعض منهن نسخ العديد من المخطوطات والكتب بتشجيع من الملكة أروى التى استهواها حب المطالعة والمعرفة فكانت " تحفظ الأخبار والأشعار والتوازيخ " ، ومما يدلل على ذلك تلك التعليقات والتحليلات التى كانت تدونها على ما تقرأه من كتب [٥]. ومن أنشطتها أيضًا إنشاء مدرسة لتدريس الصحيحين بذى جبلة وكذلك بناء المساجد وتوسيع مسجد صنعاء [٦]. فقادت الدولة أكثر من نصف قرن فى حياة زوجها مفوضة منه وبعد وفاته كملكة شرعية للبلاد وشاخت الدولة مع شيخوختها وانتهت بموتها سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م عن عمر يناهز اثنين وتسعين سنة .

---

١ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٣ - ٦٤ .

٢ - عمارة اليمنى ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

٣ - عبد المنعم ماجد ، السجلات المستنصرية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٢٩ .

٤ - حسن سليمان محمود ، الملكة أروى ، ص ٩٢ .

٥ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦١ .

٦ - حسن سليمان محمود ، الملكة أروى ، ص ٩٣ .

عاصرت الملكة أروى سيدة أخرى ، وهى جارية حبشية تسمى علم ، يبدو أنها كانت تحاكى السيدة أروى فى أعمالها فقد وصلت إلى عرش الدولة النجاحية سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م بعد مقتل سيدها الوزير أنيس الفاتكى على يد منصور بن فاتك بن جياش حيث اصطفاها منصور لنفسه ؛ فولدت له فاتك بن منصور الذى تولى الأمر بعد أبيه . فوض منصور بن فاتك الأمر إليها ، حيث كان لا يقطع أمراً دونها يصفها يحيى بن الحسين بقوله : " كانت عاقلة لبيبة كاملة أديبة .. أحسنت إلى فقهاء وقتها وأرباب العلم والعبادة .. وكانت تحج بالناس براً وبحراً "[١] وأطلق عليها نفس لقب أروى فتسمت بالحرة الملكة[٢] سمعت عن ورع وتقوي على بن مهدى فى بداية ظهوره ؛ فأسقطت عنه وعن أقاربه ومن يلوذ بهم خراج أراضيهم [٣]، ويبدو أن مجلسها يشابه مجلس الملكة أروى من حيث حضور النساء العالمات الذين يتصفن بالعلم ويمشون فى الخير وتستأنس برأيهن فى إدارة شئون الدولة ، ويأتى إليها قائدها سرور الفاتكى يراجع معها أمور الدولة " يفضى إليها بما حسن عنده أن يفعله من التدبير فى تلك السنة من ولاية وعزل وإنعام وقتل ، ثم لا يزال جالساً بين يديها .. حتى يقوم إلى صلاة الظهر"[٤].

ومن نساء العصر الأيوبى والتى شاركن فى حكم البلاد أيضاً هى الخاتون أم الناصر بن طغتكين التى تحملت عبء حكم اليمن بعد اغتيال ولدها الناصر سنة ٦١١هـ ، حيث سمه وزيره غازى بن جبريل وباشرت شئون الحكم لمدة ستة شهور بسبب عدم وجود أمير من البيت الأيوبى يتولى حكم البلاد [٥]. هؤلاء النساء الذين شاركن فى العمل السياسى داخل بلاد اليمن هن نساء صنعتهن الظروف والمواقف فأظهرن حنكة فى إدارة الدولة ، وهذا أمر غير مألوف فى مجتمع إسلامى تقليدى ويعلل أحد الباحثين ذلك بأمرين الأول : الدور التى كانت

---

١ - غاية الأمانى ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

٢ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١٠٣ .

٣ - يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٢٩٩ .

٤ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١١٨ .

٥ - عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٣٠١ ، أسامة أحمد حماد ، مظاهر الحضارة الإسلامية فى اليمن ، ص ٤٧٧ .

تلعبه المرأة الريفية فى السفوح الغربية من اليمن ؛ إذ أنها باشرت نشاطها بكثير من الحرية التى فقدتها المرأة فى المناطق المنعزلة ، والثانى : تسامح الدولة الفاطمية مع نساء الصليحين أعطى مثالاً وقدوة لباقى النساء اللاتى تولين السلطة فى اليمن بعد ذلك (١).

خلاصة القول أن الحرية السياسية للقبائل اليمنية أفرزت الصراع على السلطة بين بطونها ، وظهرت لعبة التحالفات بشكل جلى فى سبيل ذلك مما أفضى إلى عدم الاستقرار السياسى فى البلاد ، فتاريخ اليمن السياسى يمتلئ بالكثير من الأحداث التى تجسد الفوضى السياسية ، وانقلاب القبائل وانحيازها يحدد شكل السلطة فى ظل بلاد ذات جغرافية خاصة تمثل الجبال فيها حصون وحواجز ساعدت على المناورات العسكرية ، كما أن هذه الخاصية كانت سبباً فى تزامن كيانات سياسية يمنية تصارعت من أجل السلطة ولم تخضع القبائل إلا لسلطان القوة. أما علاقة العبيد بالسلطة فهى علاقة تمكين وانتقال سلمى للسلطة من سلطة قبلية متهالكة إلى عبيد تملكوا وتمكنوا بفعل الزمن ، وانشغال أسيادهم بهموم أخرى غير السياسة ؛ فتضلعوا فيها ووجدوا من عصبيتهم من يناصرهم . أما الأبناء فهم من كانوا على قمة السلطة يوم ظهر الإسلام فأسلموا ، وظلوا ولاة للرسول (ﷺ) ، وكلما تنحوا عن السلطة بفعل فاعل عادوا إليها لكن ضعفهم وقلتهم أخرجتهم من سباق الصراع على السلطة ، كما أن علاقة أهل الذمة بالسلطة كانت علاقة خفية من خلال تسللهم إلى أصحاب السلطان والعمل خدمتهم واكتساب ثقتهم مما يحصنهم ضد غدر الرعية ، أما المرأة فغالبًا ما لعبت الصدفة فى اعتلائها هرم السلطة فى اليمن لكنهن أظهرن حنكة سياسية فى إدارة الدولة وفى الصراع السياسى .

---

١ - على محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجرى ، صنعاء ١٩٩٧م ، ص ٣١ .

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥.

البكري ، أبو عبيد البكري الأندلسي ت ٤٨٧ هـ ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ ، فتوح البلدان ، تحقيق ، رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ .

ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محد مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م.

الخزرجي ، أبو الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ / ١٤١٠م) ، اليمن في عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأولى من الباب الرابع من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، تحقيق راضي دغفوس ، الكراسات التونسية الجزء ٢٧ رقم ١٠٧ - ١٠٨ لسنة ١٩٧٩م.

» » » : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح وتنقيح ، محمد بسيوني عسل ، القاهرة ١٩١٤م.

الرازي ، أحمد بن عبد الله الصنعاني ، ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م ، تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمري ، عبد الجبار زكار ، صنعاء ١٩٧٤م.

الزمخشري ، محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ / ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ دار المعرفة لبنان .

السكسكي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني ، طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق عبد الله محمد موسى ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ١٩٩٤م.

أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت ٦٦٥هـ ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.

صالح بن داود الأنسى ، فتح الملك المعبود فى ذكر إجلاء اليهود ، تحقيق محمد عيسى الحريرى ، ندوة التاريخ الإسلامى ، المجلد الخامس (١٩٨٥م) ص ٢٢٠ .

الطبرى ، محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر ت ٣١٠هـ ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ .

العبدلى ، أحمد فضل بن على محسن ، هدية الزمن فى ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١هـ .

عمارة اليمنى ، نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى اليمنى ت ٥٦٩هـ ، تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة .

ابن المجاور ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشقى ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض والحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه وضبطه أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١م.

أبى مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت٩٤٧هـ) ، تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م.

المقدسى ، محمد بن أحمد ت ٣٩٠ هـ ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق ، غازى طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق ١٩٨٠م.

المقرى ، أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ت ٧١١هـ / ، لسان العرب ، دار صادر بيروت .

الهمدانى ، لسان اليمن محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٦٠ هـ ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الجزء العاشر ، تحقيق ، محمد بن على بن الحسين الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ١٩٩٠م ، والجزء الثامن ، تحقيق نبيه أمين فارس ، برنستن ١٩٤٠م.

«» «» «» ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، دار اليمامة ١٩٧٧م.

وهب بن منبه ت ١١٤هـ ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩م.

ياقوت ، أبو عبد الله الحموى ت ٦٢٦هـ ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .

يحيى بن الحسين (١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن من سنة ٢٨٠ - ٣٢٢هـ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون .

« « « « ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م.

اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب ، ت ٢٨٤هـ ، تاريخ اليعقوبى ، دار صادر ، بيروت .

ثانيًا : المراجع :

أحمد حسين شرف ، اليمن عبر التاريخ ، ١٩٨٠م.

أحمد فخرى ، اليمن ، ماضيها وحاضرها ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٧م.

أسامة أحمد حماد ، مظاهر الحضارة الإسلامية فى اليمن فى العصر الإسلامى ، عصر بنى أيوب وبنى رسول ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٤م.

إيمان أحمد شمسان ، اليمن فى العصر العباسى الأول ، دار الثقافة العربية للنشر ، الشارقة ، جامعة عدن ٢٠٠١م.

أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤م.

برترام توماس ، البلاد السعيدة ، ترجمة محمد عبد الله ، وزارة التراث القومى والثقافة ، عمان ١٩٨١م.

جاد طه ، سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

جواد على ، مفصل تاريخ العرب بل الإسلام ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦م.

حسن محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

زهير هوارى ، السلطة والمعارضة فى الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٣م.

السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسى الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٥م.

عبد الرحمن بشير ، المعتزلة فى المغرب الأوسط عصر الدولة المستقلة ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، تحرير حاتم الطحاوى ، دار عين للدراسات وابحوث ٢٠٠١م.

عبد الفتاح البركاوى ، مدخل إلى علم اللغة الحديث ، القاهرة ١٩٨٤م.

عبد الله على عبد الله الغسيل ، دور التقاليد العرفية فى نشأة القانون اليمنى وتطوره ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٧م.

عبد المنعم ماجد ، السجلات المستنصرية ، دار الفكرى العربى ، القاهرة .

عز الدين باش شاويش ، اليمن السعيد أناشيد المياه أنشايد الحجر ، ترجمة خالد النجار .
WWW.Nizwa.Com/volume32/p12-24.html-435k .

عصام الدين عبد الرءوف ، الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٨٧م.

« « « « « « اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكرى العربى ، ١٩٨٢م.

فاطمة علوى الصافى ، المرويات اليمنية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثانى الهجرى ، دار الثقافة ، الشارقة ٢٠٠٢م.

على حسن الخربوطلى ، العلاقات السياسية بين العرب واليهود فى العصور القديمة والإسلامية، معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦٩م.

فضل على أحمد أبو غانم ، القبيلة والدولة فى اليمن ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩٠م.

فضيلة الشامى ، الدولة اليعفرية بصنعاء والجند ، ونشاطها السياسى والعسكرى ٢٢٥هـ / ٣٩٣م ، المؤرخ العربى ١١ ، ١٩٧٤م.

قائد الشرجى ، القرية والدولة فى المجتمع اليمنى ، دار التضامن ، بيروت ١٩٩٠م.

قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨٥م.

محمد أحمد محمد ، عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية، الشارقة ٢٠٠١م.

محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، مجلة المؤرخ العربى ، اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد العدد ١٥ لسنة ١٩٨٠م.

» » » » ، دولة الخوارج فى اليمن ، بنو مهدى فى زبيد فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م ٢٥ لسنة ١٩٧٨م.

محمد أنعم غالب ، اليمن ، دار الكاتب العربى ، بيروت ١٩٦٦م.

محمد بيومى مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٨م.

محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى العرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط٢ ١٩٥٧م.

محمد عبد الله ماضى ، دولة اليمن الزيدية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ١٩٥٠م.

محمد بن على عسيرى ، اليمن فى ظل الأيوبيين ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٩هـ.

محمد متولى ، محمود أبو العلاد ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٨م.

نعمان محمود جبران ، روضة سحيم حمد آل ثانى ، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الإسلامية الوسطى ، الأردن ١٩٩٩م.

مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية فى الأندلس ، الدار البيضاء .

المراجع الأجنبية :

Daniel Martin Varisco, Al-tawqi'at fi taqwim al-ziraà al-majhul min asr muluk Bani Rasul, in Medieval Folk Astronomy and Agriculture in Arabia and the Yemen, VARIOUM, 1997, 1983 .

Eliyhu Ashtor, The Jews and Mediterranean Economy 10th - 15th centureies, London, 1983 .

Goitein, from Aden to India Journal of the Economic and social History of Orient, Vol. xxIII, pats1 and 2 , 1980 .

»» »» »» , Jews and Arabs,: Their Contacts Through The Ages, New York, 1974 .

Serjeant and Ronald, Sana an Arabian Islamic City, world of ISlam festival trust .

Smith, G.Rex, The Ayyubids and Rasulids-The Transfer of Power in 7th - 13th century Yemen, Islamic culture, vol. XLIII, No.2, 1969 .

»» »» »» , the Political History of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion, in studies in the medieval history of the Yemen and South Arabia, variorum, 1997 .

»» »» »» , The Tahirid sultan of the Yemen, in studies in the medieval history of the Yemen and south Arabia, variorum, 1997 .

Werner Daum, From Aden to India and Cairo, : Jewish World trade in the 11th and 12th centuries, in Yemen 3000 years of art and civilization in Arabia Felix, ed. Werner Daum. Frankfurt, 1987.

Yosef Tobi, The Jews of Yemen, Lieden, 1999.

القسم الثانى

الوجود اليهودى

عدن واليهود عصر الصليحيين وآل زريع

(٤٣٩ - ٥٦٩ هـ / ١٠٤٥ - ١١٧٤م)

حظيت مدينة عدن - الواقعة جنوبى اليمن - بموقع متميز على خريطة عالم العصور الوسطى ، وزادت أهميتها بعد وصول الفاطميين إلى مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وما تبع ذلك من فرض النفوذ الفاطمى على اليمن من خلال الدولة الصليحية الذى تولى دفة الحكم فيها منذ البداية داعى الفاطميين محمد بن على الصليحى ، وأضحت عدن آنذاك محطة ترانزيت هامة للتجارات المتبادلة بين الهند وعالم البحر المتوسط خاصة وأن البحر الأحمر كان بمثابة بحيرة إسلامية . هذا الوضع الجديد للمدينة جلب إليها التجار من مختلف الأجناس والديانات وعاشوا فيها وشاركوا أهل البلاد أعمال التجارة ومعلوم خبرة أهل اليمن فى هذا المجال منذ زمن بعيد .

لم يغب اليهود من أهل اليمن ولا من البلاد الأخرى عن المشاركة بدور فى عدن ، وقد أشار الكاتب اليهودى جوايتاين فى العديد من أطروحاته التى اعتمد فيها على وثائق الجنيزا إلى هذا الدور بشكل عابر لافتًا الانتباه إلى الغموض الذى اكتنف هذه الفترة من تاريخ عدن بشكل عام وبتاريخ اليهود فيها على الأخص ، خاصة أن الدراسات التاريخية العربية عن تاريخ هذه المنطقة فى فترة الدراسة قليلة جداً لندرة المصادر التى توضح بجلاء تاريخها السياسى ، ومن ثم تكمن الصعوبة فى تعيين الكيانات السياسية التى تناوبت فى تلك الفترة، وهو أمر فطن إليه المحدثون من أبناء اليمن العاملين فى الحقل التاريخى(١) ، وبدأوا فى الولوج إليه وتحقيق تلك الحقبة استناداً إلى مظان أصيلة .

ولمحاولة رصد المكانة السياسية والاقتصادية لمدينة عدن ودور اليهود فيها كان لابد من العودة للوراء لمناقشة إشكالية وصول اليهودية إلى بلاد اليمن ، ثم دخول الإسلام ومعاملة المسلمين لليهود من خلال تعايشهم مع الدول الإسلامية التى حكمت بلاد اليمن وخاصة حكام مدينة عدن التى تمتعت بوضع سياسى واقتصادى خاص خلال القرن الخامس والسادس الهجرى/ الحادى عشر والثانى عشر الميلادى ، ثم الحديث عن مجتمع عدن واندماج اليهود

---

١ - راجع ما كتبه عبد الرحمن الشجاع فى تاريخ اليمن .

فيه ، وعلاقات اليهود فى عدن بإخوانهم فى البلاد الإسلامية الأخرى ، وأخيراً الدور التجارى لعدن وإسهام اليهود فيه من خلال ما عكسته وثائق الجنيزا والمصادر الإسلامية .

تختلط الأسطورة بالتاريخ عند الحديث عن وصول اليهودية إلى بلاد اليمن ، متى وكيف وصلت ؟ ، وهل تهود العرب من سكان جنوب شبه الجزيرة العربية ؟ ، أسئلة تطرح نفسها فى بداية هذه الورقة ، وللإجابة عن هذه التساؤلات يجب طرح ما هو متاح من مادة تاريخية واختبارها لمحاولة الوصول إلى أقرب نقطة من الحقيقة ؛ معظم الكتابات المتاحة تشير إلى أن وجود اليهود فى شبه الجزيرة نتج عن موجات متتالية من الهجرات اليهودية بسبب الحروب أو البحث عن فرص للتجارة ، واتصال اليمن من قديم بطرق القوافل التجارية البرية والبحرية مع بلاد الشام سهل من هذه الهجرات ، وفى قصة الملك سليمان وملكة سبأ إشارة إلى تلك الصلات ، كما أن تعرض اليهود لبطش البابليين والآشوريين ثم الرومان من بعدهم ؛ أدى إلى المزيد من تلك الهجرات [1]، أما بالنسبة للتهويد ؛ فالرواية العربية التى تعود فى معظمها إلى ابن هشام تثبت تهود عرب اليمن زمن أسعد أبو كرب الحميرى الذى حكم فيما بين سنتى ٣٨٥ - ٤٢٠م تقريبًا ؛ فهو (أول من أخذ بدين اليهودية) ، وذكر فى سبب تهوده أنه لما غزا المشرق مر بيثرب فملكها . وتهود على يد حبران من أحبار بنى قريظة [2]، كما أن هناك

---

١ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ٦ ص ٥٣٨ .

٢ - أعجب تبان أسعد أبو كرب الحميرى ما سمعه من الحبرين اليهوديين ، ورأى لهما علمًا ؛ فبنى المدينة وانصرف عنها واتبعهما ، ولما رجع إلى اليمن بمن معه من الجنود والحبرين دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ... فاتفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هناك كان أصل اليهودية راجع وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٣٠٦ و ٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٢ ص٦١ . يرى أحد الدارسين أن اعتناق الملك الحميرى للدين اليهودى لم يكن لمجرد إعجابه بفصاحة وبلاغة الحبرين . خاصة أن العرب هم أهل الفصاحة والطلاقة ، بحيث تتضاءل أمامها فصاحة هؤلاء اليهود . بل أن السبب يكمن فى أن هذين الحبرين قد نجحا فى إقناع الملك بأن اعتناقه اليهودية سيدعم نفوذه السياسى فى بلاده ، ويخلص بلاد اليمن من الفوضى والانقسامات الدينية التى كانت تهدد وحدتها ، (على حسنى الخربوطلى ، العلاقات السياسية بين العرب واليهود فى العصور القديمة والإسلامية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٤٦) كما أن تعاليم اليهودية أقرب إلى عقلية العرب من الديانة المسيحية ، التى كانت تستمد يومئذ بعض تعاليمها من الفلسفة اليونانية (إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩١٤م ، ص ٣٧) .

دليل أثرى يعضد من الرواية العربية يرجع للقرنين الرابع والخامس الميلاديين اكتشفه أحد العلماء ويدعى (Walter W. Muglier) شرق مدينة صنعاء سنة ١٩٧٠م، ثم قام بتصويره العالم الروسى (Grjaznevic) يحتوى على قائمة بحوالى ٢٤ طبقة من رجال الدين اليهود فى اليمن [١].

ومسألة التهويد هنا يلفها قدر من الغموض ، خاصة عندما تغض الروايات اليهودية الطرف عنها عملاً بمبدأ انغلاق اليهودية على نفسها ؛ وعلى افتراض أن أعضاء الجماعات اليهودية قد حافظوا عبر التاريخ وفى كل مكان وزمان على نقائهم العرقى فلم يختلطوا بالأجناس الأخرى ، ووفقًا لذلك استبعد بعض الدارسين قصة تهويد الحميريين كليًا واعتبروها من الخيال أو مصطنعة فى أفضل الظروف ، ولعل ما يشير إلى ذلك ما أجراه العلماء اليهود فى فلسطين المحتلة من أبحاث جينية على اليهود المهاجرين من اليمن للتعرف على أصولهم ، واختلفوا حول البيانات التى خرجت عن تلك البحوث ، لكن هناك شبه اتفاق بينهم على أن تلك البيانات لا ترجع أصول يهود جنوب الجزيرة العربية إلى العرب المحليين[٢]. وهـــذا الافتراض يتنافى مع الواقع التاريخى الذى يثبت تهود الملك الحميرى وجماعته سكان جنوب شبه الجزيرة العربية : صحيح أن التهويد لم يكن هو هاجسهم الأول فى شبه الجزيرة بعد هجرتهم ، بل جاء بعد الاستقرار والتمكين من خلال عملهم بالتجارة ، حيث انصب اهتمامهم على إقناع الزعماء ليسهل بعد ذلك إقناع الرعية ، والناس على دين ملوكهم . وهناك من الدارسين اليهود من يفترض وجود اليهود واليهودية فى اليمن منذ قبل أسعد أبو كرب الحميرى ، ويدلل على ذلك بصعوبة إرغام أسعد لبقية حكام حمير على اعتناق الدين الجديد دون أن يحدث ذلك فتنًا داخلية ، وأن عدم وجود معارضة للدين اليهودى دليل على أن هناك أناس من ذوى النفوذ السياسى سمحوا للديانة اليهودية أن تتسرب إلى اليمن ، وتركوها تنتشر شيئًا فشيئًا من قبل أن يعلن أسعد أنها صارت دين البلاد [٣]. وبالتالى فإن الأغلبية

---

1 - Aviva Klein-Frank, The Jews of Yemen, in Yemen 3000 years of art and civilization in Arabia Felix, ed. Werner; Daum Frankfurt 1987, p. 266 .

2 - Reuben Ahroni, The Jews of the British Crown Colony of Aden, Leiden 1994, p. 12 .

٣ - إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٣٩ .

المطلقة التى كونت أنصار الدين الجديد فى اليمن كانت من سكان البلاد الأصليين[١] . مما يؤكد على انتشار التهويد بين سكان جنوب شبه الجزيرة العربية .

ظلت اليهودية ديانة حمير حتى عهد ذى نواس الحميرى الذى حكم حمير ثمان وثلاثون عامًا إلى أن غزا الأحباش اليمن سنة ٥٢٥م[٢] بناء على طلب الإمبراطور البيزنطى جستين (٥١٨ - ٥٢٥م) ، ويقال أن سبب الغزو يرجع إلى اضطهاد اليهود للنصارى فى اليمن ؛ فقد تسربت النصرانية إلى اليمن عن طريق الحبشة ، وكثر أتباعها هناك[٣]، فغزا ذى نواس نجران وعرض على النصارى فيها اليهودية ، ولما امتنعوا أحرقهم بالنار[٤] ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾[٥]، كما يرى البعض أن هناك سببًا آخر لغزو الأحباش حمير هو المضايقات التى تعرضت لها تجارة الروم الهندية أثناء مرورها بالأراضى اليمنية[٦]، وعلى الجملة فإن هذه الغزوة أنهت حكم

---

١ - إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٣٥ .

٢ - الهمدانى ، الإكليل ، تحقيق نبيه أمين فارس ، برنستن ١٩٤٠م جـ٨ ، ص ٢٢٦ ؛ بذل علماء البحث والتنقيب جهوداً كثيرة فى سبيل العثور على شىء من آثار الدولة الحميرية المتهودة ، ولكنهم لم يعثروا على شىء منها مطلقًا ، انظر ، إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٤٤ .

٣ - الحديث عن دخول النصرانية إلى اليمن غامض ، عن مناقشة هذا الموضوع راجع ، جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب ، ص ٦٠٨ - ٦٢١ ، ويرى البعض أنها وصلت إلى اليمن عن طريق سوريا ، راجع ، أحمد فخرى ، اليمن ماضيها وحاضرها ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٥٦ .

٤ - تقول المصادر اليونانية أن معاملة ذى نواس لنصارى نجران لم تكن إلا رد فعل لاضطهاد الدولة الرومانية لليهود فى بلادها عن طريق عمالها باسم الدين ، إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٤٥ .

٥ - سورة البروج الآية ٤ - ٧ ؛ بلغ ذو نواس آخر ملوك حمير أن أهل نجران أتاهم رجل من آل جفنة من غسان ؛ فردهم إلى النصرانية ؛ فسار إليهم ذو نواس بنفسه حتى احتفر أخاديد فى الأرض وملأها نارًا ، فمن تابعه على دينه خلى عنه ومن أقام النصرانية قذفه فيها ، وهب بن منبه ، التيجان فى ملوك حمير ، ص٣١٢ .

٦ - لم يكن النزاع بين ذو نواس ونصارى نجران نزاع دينى أو سياسى ، وإنما كان نزاع اقتصادى على الطرق البرية والبحرية مع الهند والشرق الأقصى ، راجع ؛ Aviva Klein-Frank, The Jews of Yemen, p. 266 ؛ جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٧٥ ، لم ينس اليهود فى مهجرهم باليمن تنكيل الرومان بهم ؛ فتعرضوا لتجارتهم الآتية من الهند فى طريقها للحبشة ومصر (عصام الدين عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٨٥).

الحميريين ، وفرضت النصرانية على اليهود وأرغموا على الزواج من خارج مجتمعهم حتى يندمجوا في المجتمع ككل [١].

مل الحميريون سلطة الأحباش بعد خمسين سنة من حكمهم ، وانتفضوا بقيادة سيف بن ذي يزن الذي استنجد بالإمبراطور البيزنطي ضد ظلم الأحباش في اليمن ؛ لكن الإمبراطور رفض التدخل لكون أن سيف يهودي من نسل ذو نواس [٢]؛ فلجأ إلى كسرى فارس أنوشروان الذي نصره ، وأرسل إلى عدن حملة بقيادة وهراز سنة ٥٧٥م[٣] استطاعت هزيمة النصارى الأحباش وغزو صنعاء [٤]. وقد عثر القائد البريطاني - الذي فتح عدن سنة ١٨٣٩م - على حجر منقوش عليه بالخط المسند يسجل هذا الانتصار ، ترجمة البريطانيون إلى اللغة الإنجليزية بما معناه " هجمنا بسوط الغضب على الأحباش والبرابرة وتقدمنا ببأس وشدة على حثالة الجنس البشري " [٥]. بقيت اليهودية حتى دخل الإسلام إلى اليمن ، وبالتالي يمكن القول أن اليهود والدين اليهودي وصلا إلى بلاد اليمن في فترة مبكرة ، لكن كيفية وصولهم وتاريخ وصول اليهودية مازال يخضع للتخمين ما لم تظهر أدلة جديدة تثق في صحتها .

أقدم إشارة لليهود في عدن وصلت من إلينا من المؤرخ البيزنطي فيلوستر جيوس (Philostorgius) الذي ينتمي للقرن الرابع الميلادي ، وتتخلص هذه الإشارة في أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني (٣٣٧ - ٣٦١م) أرسل بعثة مسيحية في سنة ٣٥٦م برئاسة تيوفيلوس إندوس (Theophilus Indus) إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، حيث أقامت البعثة ثلاث كنائس في المنطقة ، إحداها في عدن ، وكان الباعث الحقيقي لإرسال هذه البعثة ظروف السياسة الدولية في ذلك الوقت ، نتيجة للتنافس بين إمبراطوريتي الفرس والروم في سبيل الحصول على مناطق نفوذه في جنوب بلاد العرب [٦]. وينقل المؤرخ عن قائد البعثة

---

1 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, Leiben, 1999, p. 34 .

2 - Ibid., p. 34 .

٣ - علي حسني الخربوطلي ، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ، ص ٥٢ .

٤ - وهب بن منبه ، التيجان في ملوك حمير ، ص ٣١٧ ، جورجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٧.

٥ - أحمد فضل بن علي محسن العبدلي ، هدية الزمن في ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١هـ ، ص ٥٠ .

٦ - علي حسني الخربوطلي ، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ، ص ٤٧ .

شكوته من الأعداد الكبيرة لليهود التى كانت تعيش فى تلك المنطقة ؛ الذين كانوا بمثابة عقبة أمام بعثته[١] ويبدو أن تواجدهم فى مدينة عدن كان مع أواخر القرن الثانى الميلادى ، ويأتى ذلك التاريخ انسجاماً مع نتائج الحفريات التى قامت بها البعثات الأمريكية والبريطانية، حيث شكلوا مجموعات صغيرة تعمل بصناعة السفن وبالوساطة التجارية بين موانى البحر المتوسط والهند[٢].

حاول البعض إثبات قدم الوجود اليهودى فى عدن إلى ما قبل الميلاد بثلاث قرون تقريباً ، حيث زار الرحالة اليهودى (Ya'akov Sappir) مدينة عدن سنة ١٨٥٩م ، كما قام الإنجليزى الشاب (John Studdy Leigh) برحلة إلى المدينة نفسها فى نهاية ديسمبر ١٨٨٨م وكان الغرض من الزيارة هو دراسة شواهد القبور اليهودية للوصول إلى حقيقة ثابتة عن تاريخ استقرار اليهود فى تلك المدينة ، ولم تسفر جهودهم عن أدلة تدعم وجهة نظرهم ، إلا أنهم ألقوا أضواء قوية على مختلف جوانب الحياة للمجتمع اليهودى فى عدن ، لكنهم فشلوا فى تدعيم وجهة نظرهم القائلة بقدم عهد اليهود فى مدينة عدن إلى ثلاث قرون قبل الميلاد[٣]. وقد قام Eli Subar بدراسة مجردة من الفرضيات المسبقة للكتابات المدونة على ثلاثة عشر شاهد قبر يهودى من التى عثر عليها فى عدن ، ووصل إلى أن هذه المجموعة تعود إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين [٤]؛ ففى هذه الفترة كانت عدن ملاذاً آمناً لليهود بعيداً عن صراعات القوى فى عالم البحر المتوسط ، أما ابن المجاور[٥] فقد عرض لبعض

---

١ - نقلاً عن : Reuben ahroni, the Jews of the British Colony of Aden, p.10.

2 - Goitein, Jews and Arabs : Their contacts through the Afes, New York, 1974, 47; Herbert Lewis, After the Eagles Landed : The Yemenites of Israel, London, 1989, p. 17 .

3 - Reuben ahroni, the Jews of the British Colony of Aden, pp. 13 , 14 .

4 - Eli Subar, Medieval Jewish Tombstones from Aden, Jewish Quaterly Review, vol. 49, 1958 - 9, p. 301 - 309 .

٥ - ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه وضبطه أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١م ، ص ٣٢ - ٣٦ .

أساطير اليهود الخاصة بيوم السبت(١) فى جنوب الجزيرة العربية ، وكذا أورد بعض المسائل الشرعية اليهودية وشهورهم وأعيادهم وبعض أحوالهم الشخصية فضلاً عن بعض الأمثال التى تيلت فى عدن عنهم ؛ مما يعكس وجوداً يهودياً داخل اليمن ذا موروثات تعود إلى قرون عديدة قبل ابن المجاور المتوفى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وليس قبل الميلاد ؛ إذ أن فكرة الاستقرار اليهودى بعيد الأمد فى عدن تحتاج إلى أدلة وليس فرضيات(٢).

دخل الإسلام إلى بلاد اليمن مع بداية البعثة النبوية عن طريقين : الأول طريق الدعاة والرسائل الموجهة إلى زعماء القبائل اليمنية الكبيرة ، والثانى عن طريق الدعوة بالبعوث والسرايا (٣). وتخبرنا الروايات الإسلامية أن الرسول (ﷺ) صالح نصارى نجران على أن

---

١ - يوم السبت هو العيد الأسبوعى أو يوم الراحة عند اليهود ، ويحرم فيه العمل وبحسب ما يقوله الحاخامات فإن الإله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع ، ولذلك فإن الله باركه وقدسه وحرم فيه القيام بأى نشاط ، ويرى آخرون أن تقديس السبت راجع إلى ذكرى خروج اليهود من مصر وتخليصهم من العبودية ، ويحرم على اليهودى أن يقوم بكل ما من شأنه أن يشغله عن ذكر الإله مثل العمل وإقاد النار والسفر والمشى لمسافة أكثر من نصف ميل ، وإنفاق النقود أو تسلمها ، كما تحرم الكتابة ، وعقوبة شعائر السبت الإعدام رجمًا ، انظر عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مادة السبت المجلد الخامس .

٢ - خرج أحد الكتاب العرب بطرح جديد ، حيث يرى أن الغزو البابلى كان ناحية اليمن وليس فلسطين ، ويدلل على رأيه بما ورد فى أسفار التوراة من أسماء مدن وقلاع وقرى هى أماكن موجودة فى اليمن وليس فى فلسطين ، كما أن أسماء الأفراد والعشائر هى نفسها الموجودة باليمن ، كما يرى أن هناك تماثل بين الثقافة الشعبية اليمنية وبين مرويات التوراة والتلمود ، مثل رجم الزانية وهى عادة عند عشائر اليمن ، وتعدد الزوجات والطلاق ، ووجوب زواج الأخ الأعزب عند بلوغه من زوجة أخيه المتوفى ، والصوم والختان ، وعدم أكل لحم الخنزير ، لذلك يرى أن التوراة عندما دونت باللغة العربية راعت الإسقاط الجغرافى لمسرح الغزو البابلى فى فلسطين ، فيما المسرح الفعلى هو اليمن ، وليس هناك مصدر للغزو البابلى غير ما ورد فى أسفار التوراة ، لمزيد من التفاصيل راجع ، فرج الله ديب ، التوراة العربية وأورشليم اليمنية ، مكتبة نوفل ، بيروت ١٩٩٤م ، ويورد بنيامين التطيلى فى رحلته أن عدن تقع فى إقليم تلسار الوارد ذكره فى التوراة ، أراضيها وعرة المسالك فيها عدد غفير من اليهود ، بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٦٩ .

٣ - عبد الرحمن الشجاع ، تاريخ اليمن فى الإسلام ، دار الفكر المعاصر ، صنعاء ، ط٢ ، ١٩٧٧م ، ص ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

يكونوا (جوار الله وذمة محمد) وعلى شروط لا مجال لسردها هنا[١] ولم يأتى ذكراً لليهود إلا فى حادثة إجلاء النصارى من نجران على يد أمير المؤمنين عمر بن خطاب - رضوان الله عليه - عندما أورد البلاذرى فى معرض حديثه عن نجران قوله " ودخل يهود نجران مع النصارى فى صلح (مع عمر) وكانوا كالأتباع لهم " ويفهم من ذلك أنهم جلوا فى ركاب النصارى إلى الشام والنجرانية بناحية الكوفة [٢]، لكن ذلك لا يتوافق مع واقع الحال فى بلاد اليمن وانتشار اليهود فيها خلال تلك الفترة ، كما لم يأتى ذكرهم فى البلاد التى جلى إليها النصارى ، ومما يعزز ذلك الرأى هو خطابات رئيس اليهود فى أكاديمية العراق إلى جماعات اليهود فى اليمن ، كما إنى أميل إلى تفسير Gotien الذى برر المعاملة التفضيلية لليهود فى اليمن حيث لم يجلوا مع النصارى بسبب بعثرتهم داخل اليمن ، حيث كانوا عبارة عن جماعات متفرقة على نحو واسع فى أنحاء البلاد ، فضلاً عن كونهم حرفيين وصناع صحيح أنهم مهمشون لكن لا غنى عنهم ، بينما كان النصارى يعيشون فى رفاهية وخاصة طبقة التجار الذين تمركزوا فى نجران وطردهم لم يمثل أى مشكلة ، إذ المعلوم أن العرب تجاراً حلوا محلهم ولم يحدث فراغ اقتصادى [٣]، وسبب آخر يضيفه أحد الدارسين وهو أن اليهود لم يكن يمثلون تهديداً للأمن عكس النصارى الذين كانوا يعتنقون نفس عقيدة البيزنطيين والأحباش المتربصين بالجزيرة العربية [٤]. والقول الفصل فى هذا الموضوع أنه لم ينقل عن أحد من الخلفاء الراشدين

---

١ - البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ ، ص ٧٧، ٧٨ .

٢ - البلاذرى ، نفسه ، ص ٧٨ . يرى جواد على أن إجلاء أهل الكتاب بأمر عمر بن الخطاب كان قاصراً على المواضع التى تعرضت فيها جاليات أهل الكتاب للإسلام بسوء ، وهو أن الإجلاء كان خاصًا بالجاليات اليهودية التى كانت تقيم فيما بين فلسطين ويثرب بسبب وقوفها موقفًا معاديًا من الإسلام، ويدلل على ذلك بالجزية التى كانت تجبى من جنوب الجزيرة ، راجع ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦ ص ٦٢٠ .

٣ - Goitein, Jewish society and institution under Islam, Journal of world history, 11 (1968), p. 174 ، ويرى أحد الدارسين أن عمر بن الخطاب خشى على المسلمين من سطوة نصارى نجران وثروتهم ، انظر ، عصام الدين عبد الرؤف ، اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٨٩ .

4 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, Leiden, 1999, p. 37 .

أنه أجلى اليهود من اليمن ، وإنما أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خيبر إلى تيماء وأريحا من أرض الشام[١].

يفترض أحد الكتاب[٢] اليهود أن الرسول (ﷺ) وجد فى يهود اليمن عنصراً مفيداً ؛ إذ أنهم مهدوا الطريق للدعوة إلى التوحيد فى جنوب شبه الجزيرة ، ويصعب على الباحث أن يتقبل هذا الرأى بسبب المعاناة التى عاناها الرسول (ﷺ) من يهود المدينة فلم يكونوا فى يوم من الأيام عنصراً مفيداً بل كانوا عائقًا فى طريق الدعوة ، والمثال الذى ضربه الكاتب على ذلك هو إسلام حكام حمير الذى شكك كثير من إخوانه الكتاب اليهود فى يهوديتهم ، كما أن النصرانية كانت موجودة فى جنوب الجزيرة فهل هى الأخرى ساهمت فى تمهيد الطريق للدعوة الإسلامية ؟ والإجابة عن هذا التساؤل لابد من الفصل ما بين الدين اليهودى وبين ممارسات أتباعه ؛ فمن المقبول أن تكون اليهودية قد مهدت لدخول الإسلام باعتبارها ديانة توحيدية مثلما بشرت النصرانية بالرسول (ﷺ) ، كما أن الإسلام يحمل فى محتواه عوامل الانتشار والقبول ، وليس المجال هنا تبيان ذلك ، لكن يمكن التدليل بما قاله معاذ بن جبل لأهل اليمن مبعوثًا من الرسول (ﷺ) ، عندما سأله جمع من اليهود فى صنعاء عن مفاتيح الجنة " فقال: صدق رسول الله (ﷺ) مفاتيحها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " ؛ فأسلموا عن آخرهم [٣]، بما يعنى أن بعض اليهود فى اليمن أسلم دون إكراه فى ظل منظومة التوحيد ، وذلك ينفى ما جاء به Hirschberg أحد الدارسين اليهود[٤] من أن الوضع الاجتماعى المحترم لليهود فى اليمن ، وكذلك وضعهم كملاك للأراضى ، ومربين للماشية والأغنام ساهم فى منع فرض الإسلام عليهم بالقوة ، وينكر الكاتب قول الله تبارك وتعالى

---

١ - صالح بن داود الأنسى ، فتح الملك المعبود فى ذكر إجلاء اليهود ، تحقيق محمد عيسى الحريرى ، ندوة التاريخ الإسلامى ، المجلد الخامس (١٩٨٥م) ، ص ٢٢٠ .

2 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen,p. 35 .

٣ - الخزرجى ، اليمن فى عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأولى من الباب الرابع من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، الكراسات التونسية الجزء ٢٧ رقم ١٠٧ - ١٠٨ لسنة ١٩٧٩م ، ص ٤٤ .

٤ - نقلاً عن : Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 35 .

لرسوله الكريم ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(١) وأن الدعوة عامة للغنى وللفقير وللقوى والضعيف ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢).

عاش اليهود الذين تمسكوا بدينهم فى جيوب صغيرة ، وظلوا يمارسون الزراعة ، وعندما قامت الدولة الزيدية فى اليمن (٢٨٤ هـ / ٨٩٧م) اشتروا الأراضى الزراعية من المسلمين مما أحدث خللاً فى توازن الملكيات الزراعية بين فئات المجتمع ، ومن ثم نقص فى موارد بيت المال لتوقف أعشار المسلمين (٣). مما تقدم يمكن التأكيد على بقاء اليهود فى اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجرى مع زيادة نفوذهم الاقتصادى ؛ إذ أن الزراعة تعنى الاستقرار طويل الأمد، كما يمكن القول أنه منذ نزولهم أرض اليمن مارسوا هذه المهنة بصفة رئيسية بجوار التجارة والمهن الأخرى مثل صياغة الذهب والفضة(٤) وغيرها ، وهذا يدلل على ارتباط اليهود بالأرض ، وبالتالى لا يصدق عليهم قول الكتاب اليهود ؛ بأن سياسة المسلمين والثورة الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن الشتات حولتهم من الزراعة إلى التجارة (٥)، التعميم هنا يجافى الحقيقة ؛ فربما يصدق هذا القول على يهود الغرب الإسلامى ويهود أوربا خاصة ؛ فبعد هجرة اليهود سنة ٧٠م إلى أوربا لم يعملوا بالزراعة لأن القوانين فى أوربا حرمتهم تملك الأرض، على حين كانوا ملزمين بقرار الكنيسة تحريم العمل عليهم أيام الآحاد وهم لا يعملون كذلك يوم السبت حسب شريعتهم ، لذلك كانت زراعتهم تتعرض للضرر لامتناع العمل فيها يومين متتالين (٦). أما اليهود فى اليمن فقد كانوا بعيدين عن تأثيرات عالم البحر المتوسط،

---

١ - سورة النحل الآية ١٢٥ .

٢ - سورة البقرة ، الآية رقم ٢٥٦ .

٣ - صالح بن داود الآنسى ، فتح الملك المبود ، مقدمة المحقق ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

٤ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٣٢ .

5 - Bron and Kahan, Economic History of the Jews, New York, 1975, p. 25 .

٦ - حسين شريف ، المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥م ، جـ١ ، ص ١١٤ .

فضلاً عن جغرافية بلاد اليمن وخصوصيتها . مما يعنى أن اليمنيين اليهود كانوا جزءًا من المجتمع اليمنى ارتبط بالأرض ، ولا تصدق عليه مقولة الشتات وما صاحبها من تغيرات إجتماعية واقتصادية .

اتسم تاريخ عدن بتعدد الكيانات السياسية التى حكمت الإقليم خلال الحكم الإسلامي وعاش اليهود فى ظل هذه الكيانات ، حيث ظل اليمن موحداً تحت حكم الخلفاء الراشدين وحتى عصر المأمون العباسى مروراً بالدولة الأموية ، ثم بدأ يخرج عن النفوذ العباسى ليدخل فى طور جديد وهو طور الصراع الداخلى بين قوى مذهبية وقبلية [١]؛ فخضعت عدن لدولة بنى زياد (٢٧٩ - ٤١٢هـ / ٨٩٢ - ١٠٢٢م) [٢]، التى لاقى اليهود فى عهدهم كثيراً من العدل والتسامح والكرم ، حيث أعفى من الجزية كل من يمتلك أقل من خمسة دنانير وأقروا الضياع التى بأيديهم ، وأجازوا لهم شراء ما أحبوا من أراضى المسلمين بشرط تأدية ضريبة التسع فيما يسقى سيحًا أو بماء السماء ، ونصف التسع فيما سقى بالدلو أو بمشقة بصفة عامة [٣]. اهتم حكام بنى زياد بعدن وأمنوا السبل إليها ؛ فقصدها الناس من سائر أنحاء اليمن ومن خارجه ، كما قصدت المراكب ميناء عدن تحمل التجارات منه وإليه ، واهتمامًا منهم بتلك المدينة عهدوا بها إلى نوابًا عنهم وهم بنو معن ، ويبدو أن عدن أصبحت شبه مستقلة خلال حكم أسرة بنى معن حتى نهاية العصر الزيادى (وامتنعوا عن بنى زياد وقنعوا منهم بالخطبة والسكة) [٤]؛ وعندما توفى الحسين بن سلامة آخر أوصياء العرش الزيادى سنة

---

١ - انظر ، عبد الرحمن الشجاع ، تاريخ اليمن فى الإسلام ، ص ١٢٥ - ١٣٣ .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ص ٦٧ ؛ أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م ، ١ ص ٩ ، وقد ضبط عبد الرحمن الشجاع تاريخ بداية الدولة بناءً على اختبار النصوص انظر ، تاريخ اليمن فى الإسلام ، ص ١٧٨ - ١٨٦؛ فقد أورد ابن المجاور أن (دولة بنى زياد فى اليمن (دامت) مائتين وثلاث سنين لأنهم اختطوا مدينة زبيد سنة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة سبع وأربعمائة) انظر المستبصر ، ص ٧١ .

٣ - عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

٤ - ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤ .

٤٠٢ أو ٤٠٣ هـ(١) ، استقل بنو معن نهائيًا بعدن فترة من الزمان وصلت إلى أربعة عقود(٢) ويبدو أن هذا الاستقلال نبع من القوة الاقتصادية للمدينة ؛ فالرواج الاقتصادي فضلاً عن المركزية الإدارية والسياسية جذب اليهود إليها .

دخلت الدعوة الشيعية اليمن بعد سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١م من بابين : الباب الأول عدن لاعة في الشمال الغربي(٣)، والباب الثاني عدن أبين الساحلية على أيدي اثنين من دعاتها هم أبي القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي ، وعلى بن الفضل اليماني ، وظلت الدعوة في طور الستر حتي سنة ٢٧٠هـ / ٨٩٣ - ٨٩٤م ، ومرت بعد ذلك بأطوار عديدة تدعمها الدولة الفاطمية في مصر ، حتى وصلت إلى على بن محمد الصليحي الذي ما لبث أن عظمت شهرته وذاعت بين الناس (٤)، وتمكن من تأسيس دولته باليمن سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م ، ولما قوى أمره كتب إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م يستأذنه في إظهار دعوته ، كما بعث إليه بهدايا ثمينة ، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات ، كتب عليها الألقاب (٥)، ولم تنته سنة ٤٥٥هـ إل وقد استولى الصليحي على كافة قطر اليمن من مكة إلى حضرموت(٦)؛ ليسجل للدولة الفاطمية نفوذاً قويًا في البحر الأحمر تحمى به

---

١ - آلت دولة بني زياد إلى عبيدهم وعبيد عبيدهم ، وكان الحسين بن سلامة عبداً من عبيد عبيدهم تولى الوصاية على آخر من تولى من أبناء بني زياد وهو طفل صغير يسمى المظفر ، انظر ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧١؛ عبد الرحمن الشجاع ، تاريخ اليمن في الإسلام ، ص ١٨٥ .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧٣ ؛ ابن مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ص ٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ؛ عبد الله أحمد الثور ، مختصر تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٦٣ .

٣ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ص ٣٩ .

٤ - فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية في المغرب ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٤م ، ص ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ .

٥ - وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، لخصه من العسجد المسبوك للخزرجي ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٥٥ تاريخ ، ورقة رقم ٢٣ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة طبعة ثانية ١٩٥٧م ، ص ٧٢ - ٧٤ .

٦ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٥١ ؛ أبي مخرمة ، تاريخ صغر عدن ، ٢ ص ١٦١ .

تجارتها مع الهند ، وتسد به أى غائلة تأتيها من الجنوب ، وأصبح الصليحى يحكم اليمن باعتبره نائب الخليفة [١]؛ فزادت الحرية السياسية والاقتصادية لليهود فى البلاد ، خاصة أن موقف الدولة الفاطمية معروف تجاههم ، ولم يجد الصليحيون غضاضة فى أن يتخذوا من اسم أحد اليهود ويدعى جبله أسمًا لمدينة ، أصبحت فيما بعد عاصمة لهم بعد موت على بن محمد الصليحى [٢].

أبقى على بن محمد الصليحى على عدن فى أيدى بنى معن وجعلهم نوابًا له فيها وفاءً لجدهم العباس بن المكرم الذئب الذى كان له سابقة محمودة فى قيام الدعوة الشيعية معه [٣]، ثم مع ولده المكرم بن على عند نزوله إلى زبيد ، وأخذ أمه الحرة بنت شهاب من أسرة سعيد بن نجاح الأحول [٤]؛ فلما تزوج ابنه المكرم من أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى التى اشتهرت ببلقيس الصغرى[٥] منحها ارتفاع عدن كصداق لها [٦]، وأمر عامله على عدن على بن محمد بن معن أن يسوق إليها مائة ألف دينار فى كل عام ، واستمر ابن معن على ذلك ، ثم من بعده ولده معن بن على حتى وفاة على بن محمد الصليحى ، سنة ٤٥٨ أو ٤٥٩ أو ٤٧٣ هـ / ١٠٦٦ أو ١٠٦٧ أو ١٠٨١م[٧]، فعندما ضعفت السلطة المركزية بوفاة مؤسس

---

١ - محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٧٥ .

٢ - انظر بعده .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢١ ؛ أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ١٦٣ .

٤ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨١ .

٥ - حمزة لقمان ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٤١ .

٦ - يبدو أن خراج عدن منذ أيام دولة بنى زياد كان من الأهمية بمكان ، حيث بلغ خراجها سنة ٣٦٦هـ مئة ألف ألف دينار (عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٤٠) ، وهو ما يفسر ما قام به على بن محمد الصليحى ، حيث جعل خراج المدينة صداق لزوجة ابنه المكرم ، وكذلك يفسر قوتها الاقتصادية ، حيث يورد عمارة أن الداعى سبأ اقترض من تجار المدينة فى حالة الحرب (عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨٦) .

٧ - يرى أحد الدارسين أن تاريخ وفاة على بن محمد الصليحى الصحيح هو سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨١م ، راجع أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٣٨٥ .

الدولة ، وزادت قوة بنى معن الاقتصادية : خرج بنو معن عن طاعة المكرم بن على الصليحى، وامتنعوا عن دفع ما التزموا به إلى زوجته الحرة ، واستقلوا بعدن مدة ثلاث سنوات على يد عباس بن معن من سنة ٤٥٩هـ حتى وفاته سنة ٤٦٢هـ ؛ إذ أن الاستقلال كان براودهم منذ البداية ، وظلوا يتحينوا الفرص : فغزا المكرم بن معن غزوتين متتاليتين سنتى ٤٦٧ ، ٤٦٩هـ فى عهد محمد بن معن الذى خلف عباس ، حيث أذعن للصلح لكنه نقض الاتفاق سنة ٤٧٣هـ فكانت نهايته ونهاية بنى معن فى عدن .

عهد المكرم مهمة استخلاص عدن نهائيًا من بنى معن إلى العباس والمسعود ابن المكرم اليامى الهمدانى المعروفين ببنى زريع : فاشتبكوا معهم فى وقعتين فى سنة ٤٧٧ ، ٤٧٨ هـ وألحقوا الهزيمة بزعيمهم مهر بن معن الذى ما لبث أن مات فى أعقاب الموقعة الأخيرة ، وخلفه ابن أخيه يعفر بن عباس بن معن مدة ٦١ يومًا فقط ، حيث سلم السلطة فى عدن إلى حكامها الجدد العباس والمسعود ابني المكرم اليامى [١]، وفى خضم هذه الخلافات السياسية لم تظهر أى إشارة عن وضع اليهود فى عدن ؛ فهم دائمًا فى ركاب السلطة وفى بلاط السلطان ، ويبدو أن تمتعهم بالحصانة الفاطمية ضمن لهم حياة مستقرة فى المدينة بعيداً عن التغيرات السياسية التى ألمت بها .

قسم المكرم الصليحى إقليم عدن بين الأخوة حيث كانت المدينة والميناء من نصيب المسعود بن المكرم ومقره حصن الخضراء ، وللعباس (البر والباب) ومقره حصن التعكر فى عدن وجعل له ما حصل من البر [٢]، وبدأ عهد جديد لعدن مع أسرة حكم جديدة (٤٧٠ - ٥٦٩ هـ / ١٠٧٨ - ١١٧٤م) أسهمت بشكل كبير في تنمية اقتصاديات المدينة من خلال التجارة ، انعكس ذلك بوضوح من خلال ما أورده العبدلى عندما قال : (كان غالب بيوت عدن الخوص، وكان لا يقدر على بناء البيوت الحجر إلا أولو الثروة إلى أيام آل زريع)[٣]. عاد الخراج مرة

---

١ - محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، المؤرخ العربى ، العدد ١٥ ، ١٩٨٠م ، ص ٣٢١ - ٣٢٤ .

٢ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨١ .

٣ - أحمد فضل بن على محسن العبدلى ، هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ٢١.

أخرى للحرة ، وبعد وفاة العباس والمسعود آل الحكم فى عدن ولديهما زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود اللذين عزما على الاستقلال بعدن ، وبعدم دفع الخراج للحرة أروى : فسار إليهم المفضل بن أبى البركات الحميرى قائد جيش الصليحيين ليرغمهم على مواصلة الدفع ، وبعد عدد من المعارك تصالح الطرفان على أن يدفع حكام عدن نصف ما كان يدفع من الخراج للحرة أروى [1]، وكان هذا حلاً مرحلياً ؛ إذ كان حكام عدن يتطلعون إلي الاستقلال عن الصليحيين بالتخلص من هذا الالتزام ، وحققوا ذلك فى خلاف ثان ثم ثالث مستفيدين من الظروف والمشاكل التى واجهتها الحرة أروى ، ثم آل الحكم فى المدينة والميناء إلى محمد بن أبى الغارات (٤٨٥ - ٤٨٨هـ / ١٠٩٣ - ١٠٩٥م) ومن بعده شقيقه على بن أبى الغارات ٤٨٨ - ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ - ١٠٩٦م) ، وفى حصن التعكر أبو السعود بن زريع (٤٨٠ - ٤٩٤ هـ / ١٠٨٨ - ١٠٩٨م) [2]. فى هذه الأثناء مات المفضل قائد الصليحيين ؛ فنقض حكام عدن الاتفاق المبرم معه ورفضوا دفع النصف المتبقى من الخراج ، فسار إليهم أسعد بن أبى الفتوح ابن عم المفضل ؛ فصالحهم على ربع الخراج للحرة أروى ، ثم تغلبوا على الربع المذكور بعد ذلك[3]، (ولم يزل كل واحد منهما مواليًا ابن عمه حتى توفى أبو السعود وولى جهته ولده سبأ بن أبى السعود) [4].

توحدت عدن تحت زعامة الداعي سبأ بن أبى السعود (٤٨٩ - ٥٣٣ هـ / ١٠٩٥ - ١١٣٩م) حاكم التعكر بعد حرب دامت قرابة العامين مع ابن عمه على بن أبى الغارات بسبب الظلم والهضيمة في تقسيم خراج عدن فيما بينهما ، ودانت له كامل عدن [5]، وارتفع شأنه

---

١ - أحمد فضل بن على محسن العبدلى ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٢ - نفسه ، ص ٨٢ .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٢ .

٤ - أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٨٧ .

٥ - يذكر عمارة أن أسباب الحرب بين الطرفين وزوال ملك على بن أبى الغارات من عدن وحصولها للداعى سبأ فيقول : حدثنى الداعى محمد بن سبأ ، وجماعة من مشايخ عدن ، قالوا : كنا نعرف ابن الحزرى أبا القاسم نائبًا لعلى بن أبى الغارات ، فى نصف عدن ، والشيخ أحمد بن عتاب الهذلى ، نائبًا لسبأ بن أبى السعود فى نصف عدن ؛ فانبسط ابن الحزرى في قسمة الارتفاع على أحمد بن عتاب ، وامتدت أيدى أصحاب على بن أبى الغارات إلى ظلم الناس ، وعاشوا فى البلد وأفسدوا ، وأطلقوا الأقوال بذمة الداعى سبأ ، وقالوا بنا يوجب الغيظ ، ويثير الحفيظة .... فكان من يلوذ بالداعى فى ذلك يضام ويهتضم ، والصولة لأصحاب على ، والداعى فى ذلك يحتمل . انظر ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣؛ محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، ص ٣٢٨ .

من ناحية أخرى نتيجة انقسام الخلافة الفاطمية بعد اغتيال الخليفة الآمر في ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ بتمسك الحرة أروى بالدعوة للإمام الطيب بن الآمر ، بينما انحاز سبأ إلى الخليفة الحافظ [١]. فلم يتوان الفاطميون في إسباغ أنواع التبجيل والتكريم على حاكم عدن الجديد واعتباره ممثلهم في اليمن بعد ضعف دولة الصليحيين ثم زوالها بموت الحرة أروى بنت أحمد الصليحي (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٨م) وقلده الخليفة الفاطمي بمصر الدعوة وسمي بالداعي سبأ المعظم [٢]. وبعد وفاة الداعي سبأ ظهر نزاع بين ولداه على الأغر الذي أوصى له والده بالحكم من بعده ، ومحمد[٣] ، حيث اضطر على أثره الأخير الفرار بصحبة جنده إلى المنصور بن المفضل القائد الصليحي[٤] ، لم يفصح المؤرخون عن أسباب هذا النزاع ، وربما كمن السبب في مرض خطير أخذ يفتك بعلي الأغر أحاله إلى شخص يائس من بريق العز والسلطان الذي سيفوز به أخوه محمد من بعده[٥] حيث توفي بمرض السل[٦] بعد أن أوصى لأولاده الثلاثة حاتم وعباس ومنصور وجعل كفالتهم إلى اثنين من رجال البلاط[٧] ، في هذه الأثناء وصل رسول الخليفة الفاطمي الحافظ أحمد بن علي ابن الزبير يحمل التقليد بالدعوة لعلي الأغر بن سبأ ، ولما علم بوفاته قلد أخاه محمد بن سبأ [٨]، ونعته المعظم المتوج المكين ، ونعت وزيره

---

١ - محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع في عدن ، ص ٣٢٧ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٩١ - ٩٣ .

٢ - من الألقاب التي أطلقت عليه : الداعي الأوحد المظفر ، مجد الملك ، شرف الخلافة ، عضد الدولة وسيف الإمام ، تاج العرب ، ومقدمها داعي أمير المؤمنين ، عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣ .

٣ - ابن أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ١٢٣ .

٤ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٣ .

٥ - محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع في عدن ، ص ٣٣٥ .

٦ - ابن أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٨٩ .

٧ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٣ .

٨ - يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٩٧ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٩٥ - ٩٦ .

بلال ابن جرير . الشيخ السعيد ، الموفق السديد[١] ، والأخير ارتبط بعلاقات حميمة مع اليهود في عدن من خلال الشراكة التجارية مع زعيمهم سوف نقف على تفاصيلها لاحقًا . وفرت الظروف الجديدة في عدن جو ملائم لجذب أعداد جديدة من اليهود من المناطق الجبلية القريبة منها ، والاستقرار في المدينة والعمل بالتجارة[٢] في ظل أسرة حكم أولت جل اهتمامها للتجارة تحت المظلة الفاطمية .

أسند سبأ بن أبي السعود حكم عدن خلال فترة النزاع العائلي إلى القائد بلال بن جرير المحمدي ، حيث أصبح نائبًا على المدينة منذ بداية نزاع سبأ مع عمه علي بن الغارات[٣] وظل كذلك فترة حكم علي الأغر القصيرة . لم تكن العلاقة على ما يرام بين الأخير والوزير بلال بن جرير ، حيث انتهز بلال فرصة وفاة علي الأغر ، وأرسل إلى أخيه محمد بن سبأ (٥٣٣ - ٥٥٠ هـ / ١١٣٨ - ١١٥٥م) اللاجئ بجنده لدى الصليحيين (يستدعيه ويستحثه فوصل سريعًا فلما دخل عدن سلم إليه البلاد ومكنه من الحصون واستحلف له الناس وزوجه بابنته)[٤] ومنذ ذلك الحين ظهرت شخصية القائد بلال بن جرير المهيمن على عدن ، وسعى إليه اليهود في المدينة خاصة زعيمهم لتكوين شركة تجارية تعمل في تجارة الهند [٥]، وبعد وفاته سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م تقريبًا أسند الداعي محمد بن سبأ أعماله في عدن إلى ابنه مدافع [٦]، ولما توفي خلفه أخوه ياسر بن بلال [٧]، وبعد وفاة الداعي محمد بن سبأ تولى عدن عمران بن محمد بن سبأ (٥٥٠ - ٥٦٠ هـ / ١١٥٥ - ١١٦٥م) ومن بعده أبو الدر جوهر المعظمي (٥٦٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ - ١١٧٣م) وصيًا على أبناء عمران الثلاثة

---

١ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٨٧ .

2 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 39 .

٣ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣ ؛ ابن مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٣٢ .

٤ - أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٣٢ .

٥ - انظر بعده .

٦ - حمزة لقمان ، تاريخ عدن والجزيرة العربية ، ص ٥٥ .

٧ - محمد أمين صالح ، بنو معدن ثم آل زريع في عدن ، ص ٣٣٧ .

محمد وأبو السعود ومنصور ، وهم آخر حكام آل زريع[١] هذا التحول فى السياسة الفاطمية من الصليحيين الضعفاء إلى بنى زريع أصحاب عدن الأقوياء واكبه تحول آخر من جانب اليهود ، وهو الانحياز للقوى والعيش فى كنفه ، أو فى جواره ، مما انعكس بالإيجاب على كل يهود عدن فى تلك الفترة ، حيث تبوأت عدن قيادة اليهود فى أنحاء اليمن ، وظل سكانها من اليهود بمنأى عن الاضطرابات التى حدثت لإخوانهم وللمسلمين أيضًا فى وسط اليمن من جانب دولة بنى مهدى الخارجية فى أواخر أيام دولة آل زريع على عهد الداعى عمران بن محمد بن سبأ[٢]، ويرى أحد الدارسين اليهود أن يهود[٣] وسط اليمن عانوا اضطرابًا سياسيًا وروحيًا فى عهد الثائر الخارجى عبد النبى بن على بن مهدى ، وهو قول مردود عليه من جانب المؤرخين المسلمين ، من حيث الشدة والعنف الذى كان ثمة حكم على بن مهدى مؤسس الدولة وأبناءه من بعده مع الرعية وليس مع اليهود فقط[٤] .

أتت رياح القرن الخامس والسادس الهجريين بتغيرات سياسية واقتصادية فى العالم الإسلامى لم تكن عدن بشكل خاص فى منأى عنها ؛ فمن الناحية السياسية توطد حكم الفاطميين فى مصر قلب العالم الإسلامى ، وامتد نفوذهم إلى اليمن من خلال دولة الصليحيين

---

١ - راجع عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٩٠ ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢١ - ١٢٧ ؛ ابن مخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٨٦ - ٨٨ ؛ أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٠٩ - ٢١١ .

٢ - أسس على بن مهدى الرعينى الحميرى مذهبه سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢م . كافح ملوك زبيد من بنى نجاح واستولى على عاصمتهم بعد حملات عسكرية على المدينة بلغت اثنين وسبعين حملة ، ودانت له الجبال والسهول فى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ، انظر عمارة ، تاريخ اليمن ،ص ١٢٠ - ١٢٧؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ص ٢٦٦ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ؛ حمزة لقمان ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٦٢ - ٦٤ .

3 - Joseph Tobi, The Jews of the Yemen, p. 41 .

٤ - أورد الكتاب المسلمون الكثير عن سيرة على بن مهدى منها أن المنهزم من عسكره يضرب رقبته ، ويقتل من شرب المسكرات ومن سمع الغناء والزانى ومن تأخر عن صلاة الجمعة وعن مجلسى وعظه وهما يومى الاثنين والخميس ومن تأخر عن زيارة قبر أبيه ؛ راجع ، عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ؛ أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ١٢٨ هذا هو حال الخوارج مع المسلمين فكيف كان حاله مع أهل الذمة ؟ .

كما سبق ذكره ، وإلى الهند ذاتها من خلال الدعاة الصليحيون ، وأصبح يطلق على الدعاة في الهند اسم البهرة أي تجار البهار ، وكون أتباع الفاطميين دويلات في الهند كان أشهرها الملتان[١]. وبالتالي أصبح للفاطميين موضع قدم في تجارة الهند والشرق الأقصى عن طريق عدن بوابة الطريق التجاري إلى مصر عبر البحر الأحمر . استخدم الفاطميون السلاح الاقتصادي في حربهم ضد الدولة العباسية منذ أن قامت دولتهم في بلاد المغرب معتمدة على اقتصاد شمال أفريقيا القوي ، وعلى شبكة التجار اليهود في كل العواصم التي أصبحت تحت نفوذها، وخاصة من يعملون في تجارة الهند ، حيث كانت تجارة الهند بمثابة العمود الفقري لاقتصاد عالم العصور الوسطى عامة والعالم الإسلامي على وجه الخصوص [٢].

ظهرت عدن في فترة الدراسة كوحدة سياسية تشبه في الشكل والمضمون دويلات المدن التي اشتهرت خلال العصور الوسطي في أوروبا ، خاصة في إيطاليا ، فقد كان النموذج الإيطالي يستهوي العديد من المدن البحرية العربية ؛ إذ أن هذا النموذج قد خرج إلى الوجود من سواحل البحر المتوسط ، ولم تكن الدولة الفاطمية غائبة عن ذلك التأثير الحضاري من خلال وجودها في شمال أفريقيا وصقلية فترة من الزمان ، وبالتالي فإن عدن التي تقع في منتصف المسافة بين أوروبا والشرق الأقصى على ما يبدو اتشحت بهذا النظام ، حيث أنها مثل كل دويلات المدن يعتمد جل اقتصادها على التجارة والعمل بالبحر ؛ في مدينة " لا زرع بها ولا شجر ولا ماء وأهلها ما بين تجار وحمالين وصيادي للسمك "[٣] ، ساعدها على ذلك خصوصية وضعها السياسي داخل الإقليم ، من حيث أدارتها شبه المستقلة حيث كانت علاقاتها بالدولة الأم علاقة مالية فقط ، من حيث توريد الضرائب المتفق عليها دون التدخل في أنظمتها الاقتصادية، لذلك كان الاستقلال عن السلطة يغازل حكامها حينًا بعد حين ، فقد جنح بنو معن حكام عدن من قبل الصليحيين للاستقلال ، ومن بعدهم بنو زريع كلما زادت قوتهم نقص ما يؤدونه من خراج حتى تحللوات من دفع الخراج نهائيًا مع ضعف السلطة المركزية .

---

١ - عبد المنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج العربي ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

٢ - جواتيان ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند في العصور الوسطى ، مقال ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ترجمة عطية القوصي ، الكويت ١٩٨٠م ، ص ٢٥١ .

٣ - انظر ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ١ ص ٢٧٦ .

تمتعت عدن بقدر كبير من الحرية السياسية والاقتصادية خلال فترة الدراسة ، وهذا النظام يستهوى اليهود خاصة التجار منهم ، ورأس المال دائمًا ما يبحث عن الأمان ، فضلا عن أن اليهود يمكن لهم أن يحققوا ريادة فى النشاط التجارى والبحرى فى منطقة تبعد عن حوض البحر المتوسط الذى كان منطقة صدام بين القوى الإسلامية والمسيحية [1]، فقد ساهمت الحروب الصليبية فى القضاء على كثير من مراكز التجمع اليهودى فى أوروبا ، ناهيك عن سيطرة المدن التجارية الإيطالية على التجارة فى حوض البحر المتوسط منذ القرن العاشر الميلادى مما عقد الأمر بالنسبة لليهود ؛ حيث حاولت هذه المدن وقف التجارة اليهودية قد استطاعتها[2]. اتجه التجار اليهود إلى أماكن أكثر أمانًا مثل الموانى التجارية فى العالم الإسلامى ومنها عدن خاصة أنها كات تابعة فى ذلك الوقت لنفوذ الدولة الفاطمية التى وصل أهل الذمة فيها إلى أعلى المناصب الحكومية ؛ مثل بلطيال بن شفطيا ويعقوب بن كلس الذى تدور شكوك حول إسلامه ، ومع ذلك ظل يحتفظ بعلاقات وثيقة مع أهل ديانته السابقة بعد أن أسلم [3].

---

1 - Goitien, letters of medieval Jewish traders, Princeton University, U.S.A. 1975, p. 177 .

٢ - عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الثانى ، مادة جماعة يهودية وظيفية تجارية .

٣ - Goitien, Jews and Arabs, p. 82 ، ترتبط الدولة الفاطمية بإسمان يهوديان هما يعقوب بن كلس وبلطيال بن شفطيا ، أما الأول فهو أبو الفرج يعقوب بن كلس ولد سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م لأبوين يهوديين فى بغداد وهاجر منها إلى سوريا مع أبوه ومنها إلى فلسطين ومن فلسطين إلى مصر سنة ٩٦٠م أيام الحكم الإخشيدى لمصر ، وأصبح مستشاراً لكافور الإخشيدى فى شئون المال والدولة ، وقد أسلم أملاً منه تقلد الوزارة ، ثم فر إلى القيروان ، وتقرب من المعز الفاطمى ، وخطط لغزو مصر وبعد الغزو قلده العزيز بن المعز الوزارة سنة ٩٧٧م ، أما بلطيال فقد وقع فى أسر الفاطميين عند غزوهم الشواطئ الإيطالية وكان معاصراً لابن كلس ، ولمزيد من التفاصيل راجع ، مارك كوهين ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة نسرين مراد ، سمير نقاش ، المعهد اليهودى العربى ، جامعة تل أبيب ١٩٨٧م، ص ١٧ ؛ عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية ، جـ٢ ، مادة: أقنان ويهود البلاط .

يرى بعض الدارسين[١] أن تسامح الفاطميين مع أهل الذمة كان بمثابة ضرورة سياسية ، فمن وجهة النظر الدينية كان الفاطميون غرباء داخل مجتمع سنى أرادوا أن يضمنوا ولاءهم كأقلية تبحث عن الأمان فى ظل سلطان يحيمها ؛ فتلاقت المصالح ، وسبب آخر اقتصادى يرجع إلي استفادة الفاطميين من التحسن الاقتصادى والاجتماعى السريع للأوضاع يهود بلاد المغرب ، وتوظيفه فى صالحهم من خلال دفعهم إلى تجارة الهند ؛ فقد جاء فى ركاب الفاطميين من المغرب عدد من الأسر اليهودية التى عملت فى التجارة ، واندفعوا شرقًا إلى الهند مروراً بعدن ، وحققوا الكثير من الأرباح ، وتبرز وثائق الجنيزا[٢] العديد من أسماء التجار اليهود المغاربة مقرونة ببلده فى الشمال الأفريقى يتعاملون فى تجارة الهند ، ويتخذون من عدن مستقراً ومقامًا سنين عدداً[٣] .

استوعبت عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين عدد من الجنسيات المختلفة من مصر وفارس والحبشة ومقاديشة (الصومال)

---

١ - Werner Daum, From Aden to India and Cairo : Jewish World rade in the 11 the and 12th centuries, in Yemen 3000 years of art and civilizaton in Arabia felix, ed. Werner Daum Frankfurt, 1987, p. 169 ؛ مارك كوهين ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٢٠ .

٢ - تعنى كلمة جنيزة العبرية فى العربية جنازة وهى مشتقة من الكلمة الفارسية جنك بمعنى خزانة . وفى العصور الوسطى أطلقت على الحجرة التى يخزن اليهود فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وعقود وإيصالات وخلافه حتى لا تدنس كلمة الله التى قد تكون مكتوبة فى هذه الوثائق ، وأطلق الباحثون مصطلح وثائق الجنيزة القاهرية على مجموعة الوثائق التى عثر عليها فى حجرة مظلمة فى المعبد اليهودى بالقاهرة ، انظر حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، بحث فى الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٣١ .

٣ - ظهرت أسماء التجار اليهود المغاربة فى وثائق الجنيزا مقرونة بالبلاد التى خرجوا منها فى شمال أفريقيا، مثل اللبدى والنفوسى والطرابلسى وهى مدن تقع في ليبيا ، وقد يطلق لفظ مغربي على تجار المغرب العربى بصفة عامة ، راجع ، جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ؛ Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 177 - 178 .

وحضرموت(١) ، كما سكنها اليهود ، ويرى أحد الدارسين(٢) أن معظم اليهود الذين سكنوا عدن خلال العصور الوسطى كانوا قادمين من داخل اليمن أى من اليهود العرب ،و بينما هناك نسبة غير قليلة وفدت إلى عدن لاعتبارات تجارية أو شخصية شاركت إخوانها الإقامة فى المدينة ، كما يرى مع آخر أن استقرار اليهود العابرين فى مدينة عدن يرجع إلي القرن الخامس الميلادى(٣) ، من خلال الهجرات اليهودية من فارس ومن العراق ومن شمال أفريقيا عكست وثائق الجنيزة وجودهم فى المدينة ، حيث عثر على حوالى مائة وخمسون وثيقة تشير إلى وجود مهاجرين من أصول غير يمنية فى عدن (٤)، ويرى Schechtman أن هناك نسبة معينة من سكان عدن اليهود ترجع في أصولها إلى أسلاف التجار اليهود القادمين من موانى البحر المتوسط للتجارة مع الهند ، ثم استقروا فى عدن وأصبحوا جزء من ذلك المجتمع(٥)، وعلى الرغم من وجود ارتباط بين يهود عدن ويهود الداخل اليمني إلا أنه كانت هناك فروق واضحة بينهم ، حيث كان يشار إلى يهود عدن بالعدنى وإلي يهود داخل اليمن باليمنى (٦)، ومع ذلك فقد كان اتصال يهود الداخل اليمنى مع المجتمعات اليهودية الأخري يتم عن طريق يهود عدن (٧).

أضحت الأوضاع السياسية والاقتصادية فى عدن خلال العصور الوسطى مواتية نسبيًا لليهود ، حيث اندمجوا مع مجتمع المدينة ، وحتى القادمين من بلاد غير عربية لم تكن اللغة عائق لهم ، حيث عرفوا اللغة العربية وتحادثوا بها داخل عدن لأنها لغة التعامل (٨)، فضلاً

---

١ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٤ .

2 - Joseph B. Schechtman, The Jews of Aden, Jewish social studies, vol. 13, 1951, p. 133 .

3 - Joseph B. Schechtman, The Jews of Aden, p. 133 ; Reuben Ahroni, Te Jews of the British Crown Colon of Aden , Leiden 1994, p. 20 .

4 - Encyclopaedia Judaica Jerusalem, 1972, p. 260 .

5 - Joseph B. Schechtman, The Jews of Aden, p. 133 .

6 - Encyclopaedia Judaica Jerusalem, p. 261 .

7 - Ibid., p. 260 .

8 - Goitin, Letters of Medieval Jewish traders, p. 175 .

عن كونها لغة اليمنيين اليهود أنفسهم ، ومعظم الخطابات التى خرجت من عدن والتى تتناول أعمالاً تجارية كانت بالعربية [١] ، وأما اللغة العبرية فيرجع لليمنيين اليهود الفضل فى المحافظة عليها حية خلال تاريخ طويل قراءة وكتابة ، والبحوث اللغوية فى العبرية تتناول عبرية الإشكناز والسفارديم[٢] واليمنيين ، والتراث اليمنى اليهودى لم يكن الأقدم فحسب لكنه الأنقى ؛ فعلى سبيل المثال حافظ الفرق بين الحرف الثابت المفرد والحرف الثابت المزدوج ، وقدموا الكثير لدراسة القواعد العبرية ، ودرسّ اليمنيون اليهود العبرية لأبنائهم فى المعابد باعتبارها مهمة مقدسة[٣] بجانب لغات أخرى مثل الآرامية التى ترجمت إليها التوراة وكتب بها التلمود البابلى ، واللغة العربية التى هى لغة البلاد الأصلية ، وهى اللغة التى تقرأ بها التوراة فى صورتها العربية كما ترجمها الجاؤون سعديا الفيومى (٨٨٢ - ٩٤٢م) الزعيم الروحى فى بابل [٤] ، ويبدو أن الجغرافيا كان لها أثراً فى المحافظة على نقاء العبرية ؛ فالبعد المكانى عن عالم البحر المتوسط وما يموج به من تيارات سياسية وثقافية ، والأرض اليمنية التى حافظت بتضاريسها على اللغة العربية هى نفسها التى حافظت على العبرية ، بل ازدادت العبرية فصاحة بمجاورتها اللغة العربية التى تعد أرقى لغات المجموعة السامية [٥]. كل ذلك ساعد على بقاء العبرية فى أرض اليمن ، بل إن الكنائس المسيحية الأربعة التى كانت باليمن قبيل دخول الإسلام استخدمت العبرية فى صلواتها [٦].

---

1 - Encyclopaedia Judaica Jerusalem, 1972, p. 261 .

٢ - شاع فى الدراسات العربية استخدام مصطلحى إشكناز وسفارد باعتبارهما يهود غربيون وشرقيون ، والإشكناز هم الذين ينتمون حضارياً إلى العالم الغربى بغض النظر عن أصولهم ، والسفارد يضمون يهود الشرق والعالم الإسلامى والعربى والجماعات اليهودية المتفرقة . لمزيد من التفاصيل انظر ، عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، جـ٢ ، مادة الجماعات اليهودية الأساسية .

3 - Solomon Grayzel, A History of the Jews, Philadelphia, 1948, p. 736 .

4 - Aviva Klein-Franke, The Jews of Yemen, p. 267 .

٥ - عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية ، جـ٢ ، مادة الجماعات اليهودية الأساسية .

٦ - عصام عبد الرءوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٢٨٦ .

تزوج التجار اليهود الوافدين من يهوديات عدن ؛ إذ اشتهرن بالجمال والجاذبية وامتدحهن الأدبين العربى والعبرى ، حيث نجد إحدى هذه الزيجات قد تمت بين تاجر من يهود أسبانيا تزوج من فتاة عدنية[١] ، ووفقًا للتشريع اليهودى لا يحل للزوج أن ينقل زوجته رغمًا عنها[٢] ، وبالتالى وجد التجار اليهود المترددين على عدن أنه من المناسب الزواج بزوجة أخرى ى المدينة يقيم معها فترة تواجده لإنهاء أعماله التجارية ، خاصة أن تعدد الزوجات كان منتشراً بين اليمنيين اليهود [٣] ، كما انعقدت المصاهرات الدبلوماسية بين التجار وزعماء اليهود فى كلاً من القاهرة وعدن لتسهيل المعاملات التجارية ، حيث تزوج ناجد اليمن مضمون من أخت أبو زكريا جوده بن يوسف وهو من أحبار اليهود فى القاهرة فضلاً عن كونه تاجراً بارزاً فى تجارة الهند ، وتزوج أبو زكريا نفسه من أخت يهودى عدنى يعمل بتجارة الهند يدعى محروس من أصدقاء الناجد مضمون ، ويمتلك مركبًا يعمل فى نفس التجارة[٤] .

١- انظر ، جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند ، ص ٢٥٨ ؛ لم يحرم التشريع اليهودى تعدد الزوجات بل إن نصوص التلمود تنص على أنه من حق الزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، وعلى الرغم من ذلك تأثر اليهود بالمجتمعات التى عاشوا فيها ؛ فيبدو أن التاجر الأسبانى الذى كان يعيش فى مجتمع مسيحى كاثوليكى تأثر اليهود فيه بالزواج الأحادى من خلال لائحة جرشوم بن يهودا (٩٦٠ - ١٠٤٠م) التى نصت على منع تعدد الزوجات حيث لم يكن ذلك مخالفًا لا للشريعة اليهودية ولا لعادات المجتمع القبلى فى اليمن وفقًا للشريعة الإسلامية ، Grazel., A History of the Jews from teh Babylonian Ezeil to the Estabishment of Israel, Phildelphia, 1966, p. 318 ؛ لمزيد من التفاصيل عن تأثر اليهود بعادات الزواج فى المجتمعات التى عاشوا فيها راجع ، ليلى أبو المجد ، عقود الزواج عند اليهود ، وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى القديم ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس، المجلد ٢٤ ، الجزء الأول لسنة ١٩٩٥ ، نور الهدى عبد العال ، عادات وطقوس الزواج عند يهود المغرب ، وتأثر البيئة المغربية (بالعبرية) القاهرة ١٩٨٩م.

٢ – ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

3 - Solomon Grayzel, A History of the Jews, p. 736 .

4 - Goitien, Mediterranean Society, Jewish commuities of Arab World as partrayed in Documents of the Cairo, Geniza 969 - 1250, University of California, 2, p. 58 .

ولما كانت عدن ملاذاً آمنًا لليهود من كل الأقطار وصل إليها أبراهام بن يجو قادمًا من الهند بعد سنين عدة ، حيث أنشأ هناك مصنع للبرونز وجمع ثروة كبيرة من هذه المهنة ، ومن عدن بدأ يخاطب أهله في المهدية بتونس التي تركها بسبب هجوم النورمان عليها سنة ١١٤٨م ويقول (وصلت إلى عدن مع ممتلكاتي وأطفالي وأريد أن أخبرك بأن لدي الكثير مما يكفينا نسأل الله أن يبارك فيه لي ولأولادي ولكم أيضًا ... حاول أن تحدد من هو أفضل أبناء أخي الكبير جوزيف أو أبناء أختك براخيا حتى أزوجه من ابنتي)(١) وفي هذه الحالة نجد نوعًا من الزواج العائلي يخطب فيه والد الفتاة أحد أفراد الأسرة ليكون زوجًا لها في محاولة للم الشمل مرة أخرى .

انصهر السكان اليهود داخل المجتمعات الإسلامية التي عاشوا فيها ، وإن ما تمتع به أعضاء هذه الجماعات من انفصال نسبي عن مجتمع الأغلبية ، لا يختلف بأي حال عما يتمتع به أعضاء أي أقلية دينية أو إثنية في أي مجتمع(٢) من خلال الخصوصية الدينية والثقافية التي أباحها الشرع الحنيف ؛ فالنظام الاجتماعي في اليمن نظام قبلي عاش اليهود في كنف القبيلة وفي ظل حمايتها (٣)، وهو ما يسمى بنظام الجوار ، ويتضح هذا النظام جليًا من مرافقة يهود اليمن للقبائل اليمنية التي يعيشون في حمايتها عند فتحهم للقدس في عهد عمر بن الخطاب ، وفي فتحهم لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي / القرن الأول الهجري (٤)، ومن المعلوم أن القبيلة ربما تهاونت في الثأر والانتقام لأحد أفرادها ، وربما لا يغضب له إلا فرع واحد هو أهله الأقربون ، لكن إذا اعتدى أي غريب أو قريب على يهودي فإن القبيلة كلها تهب للانتقام له لأن ذلك اعتداء على شرفها وكرامتها (٥).

---

5 - Goitein, Letters of Medieval Jewish traders, pp. 203 , 204 .

٢ - عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود ، المجلد الثاني ، مادة الاستقلال اليهودي .

٣ - صالح بن داود الآنسي ، فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود ، مقدمة المحقق ، ص ١٩٢ .

4 - Yosef Tobi, The Jews of Yemen, p. 37 .

٥ - أحمد فخري ، اليمن ماضيها وحاضرها ص ٣٧ ، هذه العادة العربية جعلت مراكز الدراسات والأبحاث الأوروبية التي تبحث في التاريخ العربي القديم وخاصة في تاريخ جنوب الجزيرة العربية ترسل على رأس بعثاتها إلى هناك علماء يهود ، فقد اختير المستشرق اليهودي الفرنسي جوزيف هاليفي لرئاسة بعثة أثرية إلى اليمن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ، فكونه يهودي يستطيع أن يتجول بين =

تغير هذا النظام قليلاً فى عدن حيث حلت السلطة الحاكمة مكان القبيلة ؛ أى أن اليهود دخلوا فى حماية حكام المدينة ، واختلطوا بأهلها [١]. ويشهد أحد الدارسين اليهود[٢] بأن الجماعات اليهودية التى سكنت المدن شاركت المسلمين فى المواطنة ، وهذا فى رأيه أمراً يدعو إلى الاحترام . وهذا ما أقره الإسلام فى كل البلدان التى فتحت ، إلا أن Goitein[٣] يرى أن اليهود تعرضوا لإذلال شديد في اليمن كأتباع ديانة أخرى ، بينما كانوا يحترمون لتفرقهم فى مجال الحرف التى تساهم فى اقتصاد البلاد . وهذا أمراً يدعو للدهشة لصعوبة الفصل عند التعامل مع اليهودى بين دينه وحرفته . والقول فى شقه الثانى صحيح ؛ إذ أن العرب دوماً كانوا يأنفون من الصنائع والحرف ، وبالتالى أنصب احترامهم على من يقومون بها [٤]، فهل يتفق الإذلال والاحترام فى آن واحد ولشخص واحد ؟ .

قضية انتزاء اليهود بحى فى المدينة الإسلامية تحتاج لإعادة نظر ، فهى تختلف حسب الزمان والمكان ، بل إنها تختلف من مدينة إلى أخرى داخل الإقليم نفسه ؛ ففى عدن تلك المدينة الحبيسة كان حال اليهود يختلف ؛ فمدينة عدن التى يستدير حولها البحر [٥]، تبلغ مساحتها الإجمالية حوالى ٢٠٠ كيلومتر مربع تمتد كرأس صخرى فى مياه خليج عدن ، وهى بمثابة بركان خامد مساحة امتداده فى مياه خليج عدن حوالى ثمانية كيلو مترات ونصف

= أفراد القبائل اليمنية التى كانت تتمتع باستقلال ذاتى بكل حرية . خاصة أن الشهامة العربية تقضى بعدم الاعتداء على العزل ؛ لأن ذلك الاعتداء يشين الكرامة البدوية التى رأت أن قتل اليهودى لا يختلف عن قتل المرأة أو الطفل ، كما قام اليهودى الألمانى إداورد جلازر الذى ترجم الجزء الثانى من كتاب الأكليل إلى اللغة الألمانية بثلاث رحلات إلى اليمن فى إطار البحث العلمى ، راجع ، محمد بيومى مهران ، دراسات فى تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ .

1 - Goitein, Jews and Arabs, p. 74 .

2 - Eliyahu Ashtor, The Jews and Medierranean Economy 10the - 15th centuries, London 1983, p. 165 .

3 - Jewish Society and institution under Islam, p. 175 .

٤ - كان اليهود فى اليمن لا يمكن الاستغناء عنهم كحرفيين وصناع ، ولعل ذلك كان من أسباب بقائهم هناك، راجع ، . Goitein, Jews and Arabs, p. 75

٥ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٦ .

يربطها بالبر برزخ رملي [١]، ووادي يلتف حوله سلسلة جبلية نقر القدماء له باب في الصخر من ناحية صدر الوادي ، ثم أضحى هذا الباب الطريق الوحيد الذي يصل مدينة عدن بأقاليم اليمن الأخرى[٢]. مدينة بهذه المواصفات تقع بين الجبل والبحر وبهذه المساحة أين ينتزي اليهود فيها ؟ هنا يمكن القول أن الاختلاط فرض نفسه ، لكن ربما كانت هناك بعض التجمعات السكانية اليهودية في مكان ما في المدينة أطلق عليه أحد الدارسين حافة اليهود أو قاع اليهود أسوة بما كان موجوداً في مدينة صنعاء[٣]، فذلك لا يعني أنه ضم كل يهود عدن، ويمكن اعتباره حي من أحياء المدينة مثلما أن هناك أحياء أخرى يجمع بين سكانها حرفة ما أو مهنة معينة .

تظهر عبارة حي اليهود على خريطة أوردها أحد الدارسين[٤] لعدن القديمة بالقرب من السوق وفي حضن الجبل ، ومن المرجح أن يكون الدارس قد بنى استنتاجه هذا على وجود مقبرة لليهود في نفس المكان تم اكتشافها حديثًا [٥]، وهل يرتضي أثرياء اليهود في عدن من التجار وغيرهم الإقامة في مثل هذه الأحياء التي تضم الدهماء والعامة ؟ والراجح أن الكثير منهم ، وخاصة طبقة التجار والذين يعملون في خدمة الميناء أقاموا بالقرب منه ، كما أنهم شاركوا في الحياة الاجتماعية للمدينة بحفر الآبار ، ومعلوم القيمة الاستراتيجية والاجتماعية للآبار في مدينة عدن[٦]. قد يكون انعزال اليهود مقبولاً في أوروبا كرد فعل على اضطهاد الكنيسة لهم ، لكن في ظل الحضارة الإسلامية وخاصة خلال العصر الفاطمي ؛ لقي أهل الذمة كل تقدير واحترام مما يدلل على ما ذهبنا إليه من اختلاط اليهود بالمسلمين في عدن .

---

١ - إيمان أحمد شمسان ، ازدهار تجارة مدينة عدن في العصر الأيوبي والرسولي ، ضمن الندوة العلمية (عدن - ثغر اليمن) جامعة عدن ١٩٩٩م ، ص ٣١٩ .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٨ .

٣ - الواسعي ، تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٢٩ .

٤ - شايف عبده سعيد ، ملامح تاريخية من المران في كرتير - عدن في العهد البريطاني ، ضمن الندوة العلمية عدن - ثغر اليمن ١٩٩٩م ، ص ٢٠١ .

5 - Eli Subar, Medieval Jewish Tombstones from Aden, p. 301 .

٦ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣١ .

أقر أحد الدارسين[١] اليهود باختلاط اليهود بالمسلمين ، ثم عاد وعمم بوجود حي يهودي داخل مدن اليمن ، حيث يقول : (بالرغم من كراهية المسلمين لليهود ، كان يهود اليمن راضين بالحياة في أحيائهم الخاصة ، حيث يوجد به المعبد ، ويمارسون داخل حيهم شعائرهم وخاصة يوم السبت . هذا الانزواء كان من فوائده تسهيل أداء الفرائض الدينية) وطرح هذا الرأي للمناقشة يؤكد عكس ما ذهب إليه الكاتب فيبدو أنه أسقط الحاضر على الماضي ، ولم يغفل رضاء اليهود بالعيش في كنف المسلمين . أما تسهيل أداء الفرائض الدينية ؛ فهي مسألة يكفلها الشرع الإسلامي الحنيف ، ومن ثم يمكن التسليم بوجود أحياء لهم في صنعاء وغيرها من مدن اليمن أقر الدارس بوجود اختلاط مجتمعي لهم فيها مع المسلمين ، أما في عدن لا يمكن التأكيد على وجود حي يهودي منفصل يعزل اليهود عن المسلمين للأسباب الذي ذكرناها آنفًا .

شيد اليهود معبدهم في عدن عند حافة الجبل بعيداً عن أحياء المدينة (وهو محفوف بالجبال والبحر)[٢] حتى يتسنى لهم ممارسة شعائرهم الدينية وأداء فرائضهم في هدوء ، لم نقف على تاريخ إنشاء المعبد[٣] وظلت عدن تحتفظ بمعبد يهودي واحد حتى الاحتلال

---

1 - Goitein, Jews and Arabs, pp. 74 - 75.

٢ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الفتاوى الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م ، ٤ ، ص ٢٤٨ .

٣ - سئل ابن حجر الهيتمي (أفتى بعضهم بهدم جميع كنائس اليمن ، فهل ما قاله صحيح أم لا ؟ فأجاب نفع الله سبحانه وتعالى بعلومه المسلمين بقوله : اليمن مما أسلم أهله عليه ، وقد ألحق الشيخان هذا القسم بما علم حدوثه في الإسلام ، في أن ما شك في حدوثه ، أو قدمه فيه من الكنائس لا يهدم ؛ لاحتمال أنه كان ببرية ، وأن العمارة اتصلت به . لكن جرى ابن الرفعة ومن تبعه في كنائس القاهرة على ما يصرح بهدم جميع كنائس عدن لاستحالة ذلك الاحتمال فيها ؛ لأن السور المحيط بها قديم قبل الإسلام وهو محفوف بالجبال والبحر فلا يمكن أن كنائسها كانت بغير عمارة البلد وأنها اتصلت بها) الفتاوى الكبرى ، ٤ ، ص ٢٤٨ ، والفتوى في مجملها تنم عن قدم المعبد اليهودي في عدن ، ويبدو أنه يرجع إلى ما قبل الإسلام ، وجاء بناءه في آخر الوادي عند التقائه بالجبل ، وعندما زاد عمران المدينة ؛ زحف العمران على المعبد مما تطلب فتوى بهدم المعبد ونقله إلى مكان آخر في المدينة ، ولما كانت المدينة محاطة بالبحر من جهة وبالجبال من جهة أخرى استحال هدمه .

البريطانى[١]. أشارت إحدى الفتاوى الفقهية الإسلامية التى تعود إلى العصور الوسطى إلى وجود كنيس لليهود فى عدن دار حول هدمه جدل فقهى [٢]، لكن للأسف لم يعرف تفاصيل عن الظروف التى أثارت هذا الجدل ونتائجه[٣]. ويشير أحد الدارسين[٤] إلى أن اليهود فى عدن صنعوا أردية خاصة يرتديها اليهودى أثناء الصلاة ، وكانت تزين حسب الطلب : فعلى سبيل المثال كان يطرز عليها اسم صاحبها ، وبعض العبارات التوراتية بخيوط مذهبه ، وذاعت شهرتها خارج عدن ، حيث طلبها يهود مصر من إخوانهم فى عدن ، ويرى أنه لم يكن هناك شكل موحد أو محدد لهذه الأردية فى ذلك العصر ، كما لم يكن هناك رداء موحد للصلاة داخل المعابد .

يعترى الغموض عدد سكان عدن بعامة واليهود منهم خاصة : إذ لم يكن هناك إحصائية واضحة عن عدد اليهود فى عدن فترة الدراسة ، إلا أن هناك اجتهادات لبعض الرحالة - زاروا المدينة بعد فترة الدراسة بقرن من الزمان - لا ترقى إلى مصاف الحقيقة التاريخية فهى غير موثقة بأدلة دامغة ؛ فعلى سبيل المثال ينقل بعض الكتاب عن ماركو بولو الذى زار عدن فى سنة ١٢٨٥م رقم ٨٠٠٠٠ كعدد لسكان عدن، بينما دى فارتيما الإيطالى (Di Varthema) الذى زار عدن سنة ١٥٠٤م يقدر سكان عدن بخمسة أو ستة آلاف عائلة [٥]، ولم ترد أى إشارات عن عدد السكان اليهود فى المدينة ، وتقديرات الرحالة دائمًا ما تخضع للتخمين فى وقت عزت فيه وسائل الإحصاء الدقيق ، فضلاً عن أن الفترة القصيرة التى يقضيها الرحالة فى المدينة قد لا تمكنه من طرح رقم صحيح لعدد السكان .

وللخروج ببعض التقديرات التى تقترب من الحقيقة لسكان مدينة عدن ، يمكن الاعتماد على ما توفر لدينا من بيانات عن سكان مدينة صنعاء وفقًا للمصادر الإسلامية ، حيث كان

---

١ - شايف عبده سعيد ، ملامح تاريخية من العمران فى مريتر - عدن فى العهد البريطانى ، ص ١٩٧ ، ٢٠١ .

٢ - ابن حجر الهيتمى ، الفتاوى الكبرى ، ٤ ، ص ٢٤٨ .

3 - Reuben Ahroni, the Jews of the British crown colony of Aden, p. 23 .

4 - Goitein, Jews and Arabs, pp. 74 - 75 .

5 - Reuben Ahroni, the Jews of the British crown colony of Aden, p. 22 .

مجموع دور مدينة صنعاء سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ألف دار وأربعة[١] منها خمسة وثلاثون دار لليهود[٢] ، أي أن اليهود يمثلون أكثر من ٣,٥٪ بقليل من مجموع السكان في المدينة ، وصنعاء في ذلك الوقت كانت العاصمة السياسية لليمن ، والعواصم دائمًا ما تكون مناطق جاذبة للسكان ، وبالتالي يمكن اعتبارها أكثر مدن اليمن سكانًا في تلك الفترة ، وينطبق هذا الكلام على اليهود أيضًا ؛ إذ أنهم دائمًا ما يفضلون القرب من أصحاب السلطان والعيش في حمايتهم ، كما كانت صنعاء تمثل أكبر تجمع لليهود في اليمن ؛ من حيث زعامتها للمجتمع اليهودي آنذاك ، فإذا اعتبرنا أن متوسط عدد الأسرة في الدار الواحدة من خمسة إلى سبعة أفراد ؛ فيكون مجموع سكان صنعاء ما يقرب من ٧٠٠٠ نسمة نصيب اليهود منهم لا يزيد عن ٢٥٠ نسمة ، وهو عدد مناسب لسكان مدينة خلال العصور الوسطى ، وعندما انتعشت عدن تجاريًا وأضحت تحت النفوذ الفاطمي ؛ انتقلت زعامة اليهود الروحية إليها ، ويبدو أن اليهود قد تجاوز عددهم عدد إخوانهم في صنعاء بكثير ؛ خاصة بعد أن أصبحت عدن مدينة جاذبة بعد اهتمام حكامها بالميناء وبالتجارة ، فقد أتى إليها اليهود من كافة الأنحاء بحثًا عن الربح السريع والعمل في الأموال السائلة . لكن لا يمكن التسليم بصحة التقديرات الضخمة التي أوردها الرحالة لسكان عدن ، ويبدو أن الثراء الكبير لسكان المدينة انعكس على تقديراتهم .

اتسمت علاقة يهود عدن بإخوانهم بالتواصل على الرغم من انعزال اليمن جغرافيًا ، حيث حافظوا على علاقاتهم بإخوانهم في الدين في كل العالم عن طريق التجارة حينًا ، وعن طريق العلاقات الدينية أحيانًا أخرى [٣]؛ فمنذ القرن الثالث الميلادي كانت هناك علاقات لليمنيين اليهود مع إخوانهم في طبرية والجليل بفلسطين ، يؤكد ذلك إرسال رفات عدد من اليمنيين اليهود لتدفن هناك [٤]، حيث وجد الأثريون قبورًا ترجع للقرنين الثالث والرابع الميلاديين ليهود من اليمن ، كما عثر على نقش من جنوب الجزيرة في نفس المكان يرجع لنفس

---

١ – الخزرجي ، اليمن في عهد الولاة ، ص ٣١ .

٢ – انظر صالح الأنسي ، فتح الملك المعبود ، مقدمة المحقق ، ص ١٩٢ .

3 - Herbert S. Lewis, After the Eagles Landed the Yemenites of Isreal, p. 17 .

4 - Yosef Tobi, the Jews of Yemen, Leiden 1999, p. 42 .

الفترة[١] . وظلت هذه العلاقات موصولة وقوية مع طبرية التى أضحت مركزاً للفلسطينيين اليهود منذ فترة الرابى الحانان (Johanan) المتوفى ٢٨٠م حتى فتح المسلمون المدينة ، وعندها تحولت قيادة المجتمع اليهودى الدينى والروحى إلى القدس [٢] . اتصل أحبار اليهود فى طبرية بملوك حمير ويهود مملكتهم للضغط على نصارى اليمن واضطهادهم ، وذكروهم بما فعله الرومان بهم فى أحداث سنة ٧٠م [٣] ، واستمرت العلاقات حتى القرن السادس الميلادى.

أقرت الخلافة العباسية بالحكومة الذاتية أو القيادة الروحية لليهود فى العراق (بابل) باعتبارها حكومة لهم فى الدولة الإسلامية ، بعدما كانت القدس هى التى تحتل هذه المكانة منذ الفتح الإسلامى [٤] ، وعلى الرغم من ذلك ظلت مدرسة القدس تؤدي دورها الدينى لصالح المجتمعات اليهودية فى الخارج ، وبدأ مع الفتح الإسلامى ما يسمى بالفترة الجاؤونية (جاءونيم تعنى فقهاء اليهود مفردها جاؤون نسبة إلى لقب جاؤون الذى كان يسبق اسم رؤساء المدارس اليهودية فى العراق وفى فلسطين) ، حث أسس الفقهاء اليهود مدرسة بومبدثة بجوار الأنبار سنة ٥٨٩م وظلت تعمل حتى عهد آخر رؤسائها الجاؤون صمويل كوهين بن حفنى ت ١٠٣٤م ، ومدرسة سورا القريبة من الحلة سنة ٦٠٩م التى ظلت هى الأخرى تعمل وتنافس الأولى حتى عهد الجاؤون حاى بن شريرا المتوفى فى حدود ١٠٣٨م ، ومن ثم انتقل مركز اليهود العلمى والروحى إلى الأندلس ، وبعد مئة سنة آل عرش الخلافة العباسية إلى المقتفى لأمر الله محمد (٥٣١ - ٥٥٥هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠م) ، حيث فتحت فى عهده مدارس علمية جديدة فى العراق وظلت مستمرة حتى سقوط بغداد .

---

1 - Aviva Klein-Frank, The Jews of Yemen, p. 266 .

٢ - بعد فتح المسلمون طبرية خسرت طبرية مركزها الرائد بعدما تزعمت القدس قيادة المجتمع اليهودى فى فلسطين ، انظر : Mann, The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliphs, New York, 1970, 1p. 166 .

٣ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٦ ص ٥٤٠ ، حطم الرومان هيكل اليهود فى القدس سنة ٧٠م وعلى أثر ذلك فر الكثير منهم إلى الخارج .

4 - Mann, The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliphs, New York, 1970, 1p. 166 .

قامت تلك المدارس على التبرعات والهبات ، وأدى ذلك إلى التنافس فيما بينها لجذب الأتباع من كل مكان يوجد به يهود ، ودأبت على إرسال العلماء والحكماء من تلامذها إلى البلاد البعيدة لجمع التبرعات والهبات[١] وكان أهم أعمال هذه المدارس إصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب ، وكانت الأسئلة تتوارد عليهم من جميع الأقطار وفتاواهم نافذة الكلمة عند جميع الطوائف اليهودية [٢]. وأول اتصال موثق ما بين يهود اليمن والقيادة الروحية فى العراق يؤرخ بمنتصف القرن العاشر الميلادى ، من خلال خطاب من الجاؤون نحميا بن كوهين جاؤون مدرسة بومبادثة (٣٤٤ - ٣٥٦هـ / ٩٥٥ - ٩٦٧م) أرسله إلى اليمن يطلب تبرعات من الجماعات اليهودية فى اليمن للجاؤونية [٣].

هناك شيء من الغموض يحيط بعلاقة اليمنيين اليهود بإخوانهم فى العالم الإسلامى خلال الفترة من دخول الإسلام إلى قرنين أو ثلاث من الزمان ، ويرجع أحد الدارسين اليهود ذلك إلى انخفاض الأهمية العملية والثقافية لشبه الجزيرة العربية وخاصة اليمن ، حيث وجدت نفسها على هامش العالم الإسلامى بعد أن أصبحت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ، وبالتالى ضاعت المجتمعات اليهودية فى تلك المنطقة فى غياهب النسيان [٤]. لكن يبدو أن ذلك راجع إلى حالة الفقر التى كانوا يعيشونها ، ولا يمكن القبول بانعزال اليمن عن العالم اليهودى بدليل وجود اتصالات مع فلسطين ترجع إلى القرون الأولى للميلاد[٥]. وعندما تضخمت ثروات اليمنيين اليهود بفضل عملهم بالتجارة الهندية تغاضوا عن الأسباب السابقة وبدأت رسل المدارس تصل تترى إلى عدن لجمع التبرعات والهبات وأصبحت تلك المدينة فى بؤرة اهتمام رجال الدين اليهودى فى المدارس اليهودية بعد انقطاعهم عنها فترة من الزمان .

---

1 - Menahem Ben Sasson, inter-communal relation in Geonic period, in The Jews of Medieval Islam, ed. Daniel-Frank, Leiden, 1995, p. 23 .

٢ - بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ، ١٩٦ - ٢٠٥ .

3 - Yosef Tobi, Jews of Yemen, p. 43 .

4 - Reuben Ahroni, the Jews of the British crown colony of Aden, p. 17 .

٥ - انظر قبله .

تزعم يهود عدن الجماعات اليهودية فى اليمن بعد نقل الحرة زوجة المكرم الصليحى عاصمة الصليحيين من صنعاء إلى ذى جبلة سنة ٤٦٠ أو ٤٨٠ هـ[١] القريبة من عدن ، وكانت هذه المدينة قد أنشأها عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٨ هـ[٢] ، وحملت المدينة اسمها من اسم يهودى كان يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه[٣] ، وقد صاحب اليهود الصليحيين إلى عاصمتهم الجديدة ؛ إذ أنهم كانوا أكثر تسامحًا مع اليهود من بنى حاتم الذين تغلبوا على صنعاء وما جاورها سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ، وصاحب انحسار دولة الصليحيين هجرة ليهود من شمال ووسط اليمن إلى مناطق نفوذ الصليحيين ، خاصة إلى مدينة عدن حيث تزايدت أهمية المدينة كميناء ومحطة على طريق التجارة البحرى بين حوض البحر المتوسط والهند ، حيث كان يحكمها بنو معن ثم بنو زريع نيابة عن الصليحيين[٤] ثم استقل بها أعقاب الزريعيين كما أسلفنا ، ومن ثم أصبح الاتصال بالمراكز اليهودية الأخرى يتم عن طريقها[٥] وبانتقال القيادة الروحية ليهود اليمن إلى عدن وفقًا للتغيرات السياسية التى حدثت فى شمال اليمن ووسطها وفى مصر بدأ عهد جديد ليهود عدن أو بالأحرى ليهود اليمن بالكامل ، وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من انتشار اليهود فى أقاليم اليمن المختلفة تحت حكم سلطات مختلفة إلا أنهم يمثلون وحدة واحدة من المنظور اليهودى الداخلى ، وسلطة

---

١ - بدأت دولة الصليحيين فى الانحدار بعد وفاة على بن محمد الصليحى وانغماس المكرم ابنه فى الملذات . فبدأت تبحث عن عاصمة أكثر هدوءًا من صنعاء التى بات أهلها فى حالة استنفار دائم للحرب مما أثر على اقتصادياتها ؛ فوجدت فى ذى جبلة مبتغاها ، حيث تقع بين نهرين ، وحالتها الاقتصادية جيدة ، وضحت من خلال سكانها الذين كان جل اهتمامهم هو الإنتاج ، راجع عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ص ٢٦١ ؛ بعد موت سبأ بن أحمد الصليحى سنة ٤٩١ أو ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ أو ١٠٩٩م خرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين ، حيث استولى عليها يومئذ السلطان حاتم المغلسى الهمدانى ، أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، ص ٣٨٧ .

٢ - وجيه الدين الشيبانى ، قرة العيون ، وورقة رقم ٢٥ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ص ٤ .

٣ - عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٢ ؛ وجيه الدين عبد الرحمن بعلى الشيبانى ، قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، ورقة رقم ٢٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ص ٢٦١ .

4 - Yosef Tobi, Jews of Yemen, p. 40 .

٥ - انظر : Encyclopedia, Judiaca, Jerusalem, 1972, p. 261

الناجد فى ظل حكم بنى زريع فى عدن كانت تهيمن بنفس القدر على اليهود فى المدن اليمنية الكبرى مثل صعدة وصنعاء ، وبعبارة أخرى كانوا يمثلون وحدة واحدة على الأقل في نظر يهود العالم الإسلامى تحتا رياسة ناجد واحد فى عدن (١).

صاحب التغيرات السياسية تغيرات دينية ، كان أهمها بالنسبة ليهود اليمن توجه يهود اليمن بوجودهم شطر القيادة الدينية لليهود فى مصر ، التى كان من الطبيعى أن تتبع جاؤونية القدس الواقعة تحت النفوذ الفاطمى ، حيث اعترف الفاطميون فى أول عهدهم برئيس أكاديمية فلسطين رئيسًا على يهود دولتهم ، وكان ذلك - من جانبهم - رغبة فى ضمان مطالبهم السياسية بالخلافة ، وليس لتخوفهم من ولاء اليهود فى دولتهم للزعامة اليهودية فى العراق، والدليل على ذلك استمرار وجود أتباع فى مصر واليمن وأفريقية للمدارس العراقية ، خاصة أن المنافسة بين أكاديمتى فلسطين والعراق دفعت بأكاديمية فلسطين إلى الهامش عندما راجت شهرة حكماء الدين فى العراق فى القرن الحادى عشر الميلادى (٢)، وبالتالى ملكت مصر فى أيديها مفاتيح الهيمنة السياسية والدينية ؛ فلا يمكن أن تظل العلاقة بين يهود اليمن والمدارس اليهودية فى العراق قائمة بنفس الحرارة والقوة التى كانت قبل الهيمنة الفاطمية على يهود اليمن ، خاصة مع وجود العداء العباسى الفاطمى فى أنحاء العالم الإسلامى ، ومع ذلك ظلت اتصالاتهم مع المدارس العراقية قائمة على استحياء ، حيث كانت رسل المدارس العراقية(٣) التى تأتى إلى اليمن لجمع التبرعات تستقبل بحفاوة بالغة ، كما أرسل ناجد اليمن وأثرياء اليهود التبرعات لصيانة المدارس العراقية(٤) .

---

1 - Yosef Tobi, Jews of Yemen, p. 41 .

٢ - مارك كوهن ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٣١ ، ٣٣ .

٣ - كان من عادة المدارس العراقية والفلسطينية أن ترسل إلى الجماعات اليهودية فى العالم بعض رجال الدين اليهودى من الفقهاء والحكماء لجمع التبرعات لمدارسهم ، وقد أورد الكتاب اليهود تفصيل لأحدى إحلات جمع التبرعات التى خرجت من العراق متجه إلى الغرب فى أواخر القرن العاشر الميلادى حيث زاروا مصر ثم شمال أفريقيا وعرجوا منها على أسبانيا ثم إيطاليا وبعد انتهاء مهمتهم تعرضوا للقرصنة وهم فى طريق عودتهم ، انظر : Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, new York, 1972, p. 86 ; Mann, The Responsa of the Babylonian Geonim as A Source of the Jewish History, Jewish Quarterly Review, 1, 1918, pp. 168 - 169 .

4 - Encyclopedia Judaica, p. 261 .

تحول جزء كبير من تبرعات اليمنيون اليهود إلى المدرسة اليهودية الفلسطينية فى مصر[١]، يوضح ذلك خطاب نشره الكاتب اليهودى أشتور (Ashtor) فى دورية صهيون العبرية (العدد الرابع ١٩٣٩م) يشير فيه رباة عدن إلى اعترافهم بسيادة زعماء المجتمع اليهودى فى مصر عليهم ، وأنهم يمثلون المرجعية الدينية لهم ، حيث خرجت الخطابات من عدن إلى جاؤونية القاهرة للاستفسار عن بعض المسائل الدينية ومعها الهدايا والتبرعات ، ثم عاد الرد يحمل الإجابات ليهود عدن وسائر يهود اليمن [٢]، ويبدو أن الفاطميين كانوا متلهفين على استحداث مؤسسة مستقلة لزعامة يهود مصر ، وذلك بغية إبطال ولاء هؤلاء اليهود لرأس الجالوت الذى كان يعنيه العباسيون [٣]، والراجح أنه لم تكن هناك مرحلة أخرى فى تاريخ يهود اليمن كانت العلاقات مع التجمعات اليهودية فى العالم أقوى من تلك الفترة - فترة النفوذ الفاطمى - ؛ فوضعهم الاقتصادى القوى فى قلب التجارة الهندية من خلال عدن ، وحريتهم فى التصرف ساعدا على تحقيق مكانة هامة فى أعين المراكز الدينية التى كانت تبحث عن التبرعات والهبات ، ومن ثم كانوا خلال تلك الفترة مانحين لا ممنوحين [٤]. يؤكد ذلك خطاب يعود سنة ١١٣٣م أرسله ناسى وقاضى (Dayyan) اليهود فى القاهرة هاكوين بن سليمان (Hakkohen b. Solomon) إلى يعقوب بن سالم أحد قضاة عدن يطلب مساعدة مالية من إخوانه فى الدين ، ويحس - فى رسالته - يعقوب بأن يقنع ويشجع يهود عدن ليكونوا كرماء وأن يدفعوا بسخاء[٥].

---

١ - كان هناك منافسة بين مدارس العراق ومدرسة القدس على اجتذاب الأتباع من يهود العالم الإسلامى ، ومن ثم ضمان التبرعات والهبات التى تصل من هؤلاء ؛ لذلك حاولت كل منها أن تثبت أنها الأحق بالولاية على اليهود ، راجع : Ben Sasson, Inter-Communal Relation in Gonic period, p. 23 .

2 - Encyclopedia Judaica, pp.260 - 261 .

٣ - مارك كوهن ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٣١ .

4 - Yosef Tobi, Jews of Yemen, pp. 44 - 45 .

٥ - Mann, The Jews in Wgypt and in Palestine under the Fatimid Calips, 2, pp. 366 - 367، ديان اليهود أو أب بيت الدين هو أحد الأحبار اليهود الذى يسند إليه رئاسة المحكمة ، وهناك شروط يجب توافرها فى الديان منها أن يكون من طلاب المدارس الجاؤونية ، وأن يكون متفقهًا فى الشريعة التلمودية ، راجع Mann, Ibid, 1, pp. 246 , 256 .

أتاح الإسلام للأقليات الدينية مثل اليهود نوعًا من الحكم الذاتي تمارس فى نطاقه شرائعها المتبعة ؛ فقد بقى التشريع والقضاء والشعائر الدينية والعادات والتعليم والمساعدات الاجتماعية من صلاحيات هذه الأقليات ، وأصدرت السلطة الإسلامية مرسومًا لتعين زعماء الطائفة الذين انتخبتهم الطائفة نفسها فى مناصبهم [(١)]. تزعم المجتمع اليهودى فى عدن وسائر اليمن خلال فترة الدراسة عائلة بوندار وهى عائلة فارسية تعود بجذورها إلى نهاوند[(٢)]. ساعدهم على ذلك عملهم بالتجارة ، واستيعابهم للبيئة العربية وإلمامهم التام بلغة العرب حتى وهم مازالوا فى موطنهم الفارسى[(٣)] حيث اعتلوا منصب الناجد لمدة ثلاث أجيال متعاقبة أو يزيد ، وأطلق لقب الناجد على رئيس الجماعة اليهودية فى الدويلات الإسلامية التى استقلت عن الخلافة العباسية ابتداءً من القرن العاشر الميلادى فى أسبانيا والقيروان ومصر واليمن ، كان من أهم وظائفه إدارة الشئون الداخلية للجماعة اليهودية داخل الدولة ، أى علاقة أعضاء الجماعة بعضهم ببعض ، وعلاقة الجماعة بالدولة وجمع الضرائب وحفظ الأمن للجماعة ، وهو يمثل السلطة القانونية كقاضى طبقًا لقوانينهم ويراقب عقود الزواج ويعلنهم بالمحرمات ويوجههم فى صلواتهم ، وكان المسئول أمام السلطات الإسلامية عن جماعته وكان المتعارف عليه هو ترشيح وجهاء اليهود لشخصية من بينهم لهذا المنصب ثم تصدق الدولة على ترشيحه وتعيينه [(٤)].

جاء ترشيح أبو على حسان بن بوندار ككبير للمجتمعات اليهودية فى عدن واليمن فى الفترة (١٠٩٧ - ١١٣٢م) ؛ وتأتى قيادة حسان للمجتمع اليهودى مع بداية عهد جديد لعدن ، حيث توحدت عدن واستقلت عن الدولة الصليحية ، وأصبحت تحت النفوذ المباشر

---

١ - مارك كوهن ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٣٠ .

٢ - انظر ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ .

3 - Goitein, letters of Medival Jewish traders, p. 175 .

٤ - عن مهام الناجد والألقاب التى أطلقت عليه وأول ظهور له فى المجتمعات اليهودية فى العالم الإسلامى، انظر Goitien, Mediterranean Society, 2, p. 24 ; Mann, The Jews in Egypt and Palstine, Under The Fatimid Caliphs, i, p. 255 ؛ عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الرابع ، مادة النجيد .

للدولة الفاطمية ، وتقلد حاكمها بالداعى للفاطميين سبأ بن أبى السعود (٤٨٩ - ٥٣٣ / ١٠٩٦ - ١١٣٨م) [١]، وانتعشت المدينة بفضل تجارة الهند ، وكان حسان يعمل وكيلاً للتجار فيها [٢]، ويبدو أن عمله بالتجارة وثرائه هو الذى رشحه لهذا المنصب ، ومع أن منصب الناجد كان قد ظهر قبل ذلك التاريخ إلا أن هذا اللقب لم ينسب لحسان بن بوندار وإنما نسب بعد ذلك لولده مضمون ، وكما يبدو أنه كان يضطلع بنفس المهام التى يقوم بها الناجد دون أن يلقب به ، ثم تولى القيادة بعده ولده مضمون بن حسان بن بوندار (١١٣٢ - ١١٥١م) ، وهو من أشهر من تولى منصب الناجد فى اليمن ، حيث كان معترفًا به من الحكومات الإسلامية ومن زعماء اليهود فى العراق ومصر وفلسطين [٣]، واقترن اسمه بالناجد فى المراسلات الصادرة والواردة ، كما كان وكيلاً للتجار فى عدن ، علا نجمه بفضل حماية حكام عدن له ، حيث أقام شركة تجارية للعمل فى تجارة الهند مع بلال بن جرير المحمدى الحاكم الفعلى لعدن [٤]، والأخير كان وزيراً للداعى سبأ بن محمد أبى السعود صاحب عدن ، ثم بعد وفاته أصبح بلال مهيمنًا على عدن وحتى يعطى الشرعية لحكمه أتى بمحمد بن سبأ وزوجه ابنته ومكنه من ملك أبيه [٥].

---

١ - راجع ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢١ - ١٢٧ ؛ أبى مخرمة تاريخ ثغر عدن ، ٢ص ٨٦ - ٨٨ ؛ أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٠٩ - ٢١١ .

٢ - راجع رسالة التاجر يوسف اللبدى (نسبة إلى مدينة لبدة الليبية) إلى حسان وكيل التجار فى عدن ،
Goitein, Letters of Medieval Jewish traders, pp. 179 - 181 .

3 - Yosef Tobi, Jews of Yemen, p. 40 .

4 - Goitein, Letters of Medieval Jewish traders, p. 181 .

٥ - بعد وفاة الداعى سبأ آل الحكم لولده على الأغر حيث كان مقيمًا بالدملوه فهم بالتخلص من بلال بن جرير وزير والده فى عدن ، فى نفس الوقت هرب أخيه محمد بن سبأ خوفًا منه مستجيراً بالوزير الصليحى منصور بن المفضل بن أبى البركات ، لكن القدر لم يمهل الأغر لتنفيذ ما كان ينويه مما خلص بلال بن جرير من مأزق خطير فقد مات الأغر فى نفس العام ، وعلى أثر ذلك سير بلال رجال إلى محمد بن سبأ يدعوه إلى العودة إلى عدن لاستلام ملكه ، واستقبله استقبالاً حسنًا وسانده حتى استرجع سائر ملك أبيه ، وجاءه التقليد من الخلافة الفاطمية مع تلقيبه بالمعظم ولقب بلال بالشيخ السعيد الموفق السديد ، راجع ابن مجاور ، المستبصر ، ص ١٢٣ ؛ ابن مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ٢ص ، ٣٢ ، ٢١٧ .

ذاعت شهرة مضمون بن حسان داخل اليمن وخارجها ، وأسند إليه الإشراف على الميناء[١]، وعقد اتفاقيات مهادنة لصالح التجارة الهندية مع قراصنة البحر (متجرمة البحر) في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي للمحافظة على انسياب التجارة في أمان إلى ميناء عدن ، وكذلك هادن قطاع الطرق البرية وخاصة الطريق البرى بين عدن ومصر [٢]. خلفه في منصب الناجد ولده (حلفون) خلف بن مضمون (١١٥٢ - ١١٧٢م) [٣]، الذى نتعرف عليه كأحد كبار التجار في عدن من خلال وثيقة تبين فقدانه لسفينة في البحر ، وكذلك من خلال قصيدة مدح تصفه بأمير المجتمع اليهودي في عدن [٤]. عهد مضمون إلى ولده خلف بوضع مجموعة القوانين التي تنظم العمل داخل الميناء.[٥] حيث توافقت فترة توليه للمنصب مع فترة حكم عمران بن محمد بن سبأ (٥٥٠ - ٥٦٠ هـ / ١١٥٦ - ١١٦٥م) والوصى أبو الدر جوهر المعظمى (٥٦٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ - ١١٧٤م) آخر حكام بنو زريع ، وكما ورث خلف المنصب يبدو أنه ورث أيضاً الشراكة التجارية مع مدافع بن بلال بن جرير المحمدى ، ومن بعده أخيه ياسر اللذان ورثا مهام والدهما في دولة بنى زريع حتى قبض على الأخير شمس الدولة توران شاه بن أيوب عندما دخل إلى عدن ، كما كان لمضمون ولد آخر هو داود ، وكان ذو حيثية في المجتمع العدنى خلال الفترة المتبقية من عهد بنى زريع ؛ إذ يشير ابن المجاور إلى حفره لثلاثة آبار من المياه العذبة لسكان المدينة [٦]، وعلى ما يبدو ظل منصب الناجد في عقب حسان بن بندار حتى القرن الثالث عشر حيث احتل هذا المنصب يهودى يدعى مضمون بن داوود الذى كان ناجداً في عدن حوالى سنة ١٢٢٠م[٧]، وهو على ما يبدو ولد لداوود بن مضمون السلف الذكر ، والمؤكد أن منصب الناجد في اليمن كان يورث من الآباء إلى الأبناء

---

1 - Reuben Ahroni, The Jews of The British Crown Colony of Aden, p. 19 .

٢ - راجع جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند في العصور الوسطى ، ص ٢٧٣ .

3 - Yosef Tobi, the Jews of Yemen, p. 41 .

4 - Eli Subar, Medieval Jewish tombstones from Aden, p. 303 .

٥ - انظر بعده .

٦ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣١ .

7 - Reuben Ahroni, The Jews of The British Crown Colony of Aden, p. 23.

مثلما كان فى مصر وفلسطين . ولقد عثر فى عدن على سبعة شواهد لقبور ترجع لهذه الأسرة دفنوا على مدار ثلاثة أرباع قرن من الزمان تحمل بالإضافة إلى أسمائهم لقب ناجد(١).

انتشر نظام الوكالة فى العلاقات التجارية خلال العصور الوسطى خاصة فى الموانئ التجارية ، وقوام هذا النظام هو أن يتاجر التاجر لحسابه الخاص وللآخرين من المستثمرين وينظم هذا العمل عقود شراكة بين الوكيل وشركائه(٢). وفى عدن خلال عصر الصليحيين وضح هذا النظام بشكل جلى ، حيث عكسته وثائق الجنيزا اليهودية التى تغطى أعمال اليهود التجارية فى ميناء ، وكذلك رحلاتهم التجارية إلى الهند لمدة قرن ونصف من الزمان . يبدأ هذا النظام بإبرام عقد بين الوكيل وبين الموكل وفقًا للتشريع الإسلامى أو التشريع اليهودى يقدم الوكيل بمقتضاه كشف حساب عن كل رحلة تجارية يبين فيه حصص الشركاء . وحفظًا لحقوقهم كان كشف الحساب يودع عندما يكون ميناء عدن هو المحطة الأخيرة لرحلته التجارية، ويأخذ مخالصة من الشركاء (٣).

جرى العرف التجارى على توافر شروط فى الوكيل ، منها أن يكون ذا ثروة بالقدر الذى يجعله يملك مكانًا متسعًا للتخزين سمى بالوكالة ، وأن يكون ذا سمعة طيبة لدى الحكومة حتى يحصل على الترخيص اللازم(٤)، ورحلة يوسف اللبدى إلى الهند التى منى فيها بخسائر فادحة توضح بجلاء نظام الوكالة : فهو قد جمع بضائع من تجار تونسيين ، وبضائع أخرى من يوسف بن يعقوب الحكيم وكيل التجار فى مصر لمبادلتها ببضائع شبه القارة الهندية (٥)، كما كان الوكيل يعمل كمصرف حيث تودع لديه النقود ليقوم نيابة عن موكليه بعمليات السداد ، كما كانت الوكالة مقر لتسلم الخطابات وتسليمها للتجار(٦) ويبدو أن نموذج بناء الوكالة ،

---

1 - Eli Subar, Medieval Jewish tombstones from Aden, p. 302.

٢ - حسنين ربيع ، وثائق الجنيزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، ص ١٣٥ .

٣ - جواتيان ، دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

4 - Goitein, Mediterranean socity, Jews commuities of Arab world, 1p, 189 .

5 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, pp. 177 - 178 .

6 - Goitein, Jews and Arab 4, : Their contacts through the Ages , p. 119 .

واعتماد اقتصاد المدينة على التجارة قد أثر في بناء العدنيين لمنازلهم خاصة في عهد آل زريع؛ فقد كانت " دورهم مربعة كل دار وحدها طابقين : الأسفل منها مخازن والأعلى منها مجالس "(١).

واكب رواج التجارة مع الهند ازدهار ميناء عدن ، وبروز وكلاء تجاريون في ذلك الميناء من المسلمين واليهود مما عاد بالنفع على التجار المحليين ، معظم الوكلاء المسلمين وفقًا لأوراق الجنيزة كانوا من القضاة ، وكذلك بالنسبة للوكلاء اليهود ، والأمر نفسه بالنسبة للنصارى(٢)؛ إذ أن الديانات السماوية الثلاث تحض على الكسب المشروع عن طريق التجارة، مما عكس وجوداً ظاهراً لرجال الدين من أصحاب الثلاث ديانات في العمل بالتجارة داخل مدينة عدن ، وهو الأمر الذي أعطى للموكلين نوعًا من الأمان ، حيث كان وكيل التجار اليهود(٣) في عدن مضمون بن حسان رئيسًا للقضاء اليهودي في اليمن(٤)، وكانت محكمته الربانية في ميناء عدن يخضع لها التجار والصناع اليهود في حوالي عشرين ميناء من الهند وسيلان (٥)، وفضلاً عن كونه قاضيًا فقد أظهر براعة في علاقاته التجارية حتى مع الحكام المتجبرين والمتحكمين في طرق التجارة البرية الممتدة داخل الجزيرة العربية والطرق البحرية المتجهة إلى الهند : فعقد معهم اتفاقيات تبيح له خروج ودخول التجارة من والي عدن في أمان (٦)، كما أنه دخل في شراكة تجارية مع الحاكم المحلي لمدينة عدن بلال بن جرير من قبل بني زريع في الفترة من ٥٣٤ - ٥٤٦ هـ (٧)، وبالتالي رسم سياسة أكثر أمنًا لرحلاته

---

١ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٧ .

2 - Goitein, from Aden to India, Journal of the Economic and social History of Orient, vol. xx111, parts 1 and 2, 1980, p. 54 .

٣ - تعني كلمة وكيل التجارة بالعبرية (بيكيدها سورحايم) .

٤ - جراتيان ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ص ٢٧٢ .

5 - Encyclopaedia Judaica Jerusalem, 1972, p. 260 .

٦ - جراتيان ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ص ٢٧٣ .

٧ - يختلف أبي مخرمة مع ابن المجاور في وفاة بلال ويبدو أن التاريخ الذي أورده أبي مخرمة هو الصحيح ، حيث يورد تاريخ وفاته في سنة ٥٤٦ هـ لأنه يأتي داخل الإطار التاريخي لدولة بني زريع ، ٤٧٠ - ٥٦٩هـ ، بينما يورد ابن المجاور تاريخ وفاته سنة ٥٧٧ هـ مما يجعلنا نتشكك في بداية توليه الحكم في عدن ، انظر ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٣ ؛ أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ٣٣ .

التجارية ولتسويق تجارته فى سهولة ويسر دون أى معوقات داخليًا وخارجيًا ، واكتسب سمعة طيبة عند تجار الهند ؛ مما زاد من الإقبال على وكالته التجارية من جانب التجار اليهود والمسلمين والنصارى ، حيث عمل التجار من أتباع الديانات الثلاثة كوكلاء تجاريين متنقلين على السفن التجارية بين الهند وبلاد البحر المتوسط مرورًا بعدن ، يتضح ذلك من خلال إحدى الرسائل التى أرسلها مضمون إلى الهند ، حيث عمل عبد المسيح الشماس وهو أحد رجال الكنيسة السورية فى الهند أثناء سفره من عدن إلى الهند فى رحلة تجارية كوكيل عن اثنين من التجار اليهود العدنيين (١).

أصبحت دار الوكالة التى أسسها مضمون بن حسان فى عدن فيما يبدو إرهاصًا لدار وكالة كبرى أقيمت فى ميناء عدن سنة ٦٢٥هـ يحصل لصالحها ضرائب من التجارة الصادرة من الميناء والواردة إليه (٢)، وفى دار وكالة مضمون كان هنالك جهاز إدارى ينظم العمل وينسق بين الوكلاء ويدير حركة التجارة إلى بلاد الهند ؛ فكان ضمن هذا الجهاز موظف هندى مختص بالمراسلات الصادرة والواردة مع السلطات الهندية ومع ملاك السفن من الهنود وكذلك مع تجار الهند فى الموانى الهندية ، ويختص أيضًا بإبرام الصفقات التى تجرى فى دار الوكالة بين مضمون والتجار الهنود (٣). وفى المقابل استعان التجار المسلمون بوكلاء تجاريين لهم فى موانى الهند منهم العربى والفارسى والهندى ، ويفهم من خطاب مرسل من عدن إلى الملبار على الشاطئ الجنوبى الغربى للهند(٤) سيادة لغة المصالح بعيدًا عن التعصب الدينى وبدا التفاهم واضحًا بين اليهود والمسلمين والهندوس(٥) ، كما أرسل مضمون وكيل التجار فى

---

1 - Goitein, from Aden to India, p. 54 .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ .

٣ - جواتيان ، دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامى ، ص ٢٧٦ .

٤ - هذا الإقليم من الأقاليم الهندية التى لعبت دورًا مهمًا فى التجارة العالمية ، حيث لعب دورًا مشابهًا لدور عدن ، من حيث استقبال السلع الثمينة والنادرة الآتية من الصين والهند الصينية وإعادة تصديرها ، ومن ناحية أخرى استقبال سلع أوروبا والعالم الإسلامى وإعادة توزيعها على أقاليم الهند والصين ، راجع ، هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م ، ٢ ص ٣٧٨ .

5 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 186 .

عدن نوابًا عنه فى الرحلات التجارية إلى الهند كما يتضح من رحلة يوسف اللبدى إلى الهند التى اصطحب فيها أخوة الناجد مضمون إلى شبه القارة الهندية[١].

عاصر مضمون وأبوه فترة من أفضل فترات التاريخ الاقتصادى لعدن ؛ حيث أدت الأحداث فى الشرق الإسلامى ، وخاصة فى الخليج العربى إلى مزيد من الازدهار لهذا الميناء بعد الاضمحلال الذى أصابه خلال العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) وتحول مراكز التجارة فى الخليج العربى[٢] للخطر بسبب ثورات الزنج فى العراق والقرامطة فى البحرين ، وكذلك الشلل الذى أصاب النشاط التجارى داخل الخلافة العباسية نفسها بسبب تسلط القادة الأتراك ، الأمر الذى حول اتجاه التجار إلى الطريق البديل الموصل للبحر المتوسط من خلال البحر الأحمر مرورًا بعدن بعيدًا عن الاضطرابات التى تعوق حركة التجارة [٣]؛ فرأس المال دائمًا ما يبحث عن الأمان ، هذا التحول أثار حنق حاكم جزيرة كيش (إحدى موانى الخليج العربى التى تقع بالقرب من حدود إيران) على عدن ، حيث كانت كيش محطة للتجارة العالمية فى النصف الثانى من القرن الرابع وطول القرن الخامس الهجرى ، ومنذ ذلك الحين سحبت عدن البساط من تحت أقدامها ، ولم يتحمل حاكم كيش ما حدث لجزيرته[٤]، فدفعه غضبه إلى مهاجمة ميناء عدن سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م ، لكن محاولته باءت بالفشل على أيدى الداعى سبأ[٥]، وتظهر وثائق الجنيزا تعاطف التجار اليهود بعدن مع أهل المدينة فى هذه المحنة [٦].

---

1 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 178 .

٢ - إيمان أحمد شمسان ، ازدهار تجارة عدن فى العصر الأيوبى والرسولى ، جـ١ ، ص ٣١٩ .

٣ - محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ٣٥ ، السنة ١٤ ، بغداد ١٩٨٨م ، ص ١٨٠ .

٤ - عطية القوصى ، سيراف وكيش وعدن من القرن الثالث الهجرى حتى السادس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، م ٢٣ لسنة ١٩٧٦ ، ص ٦١ .

٥ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ حقق أحد الدارسين تاريخ الهجوم على عدن بمقارنة التاريخ الذى أورده ابن المجاور مع وثائق الجنيزا التى تعود إلى نفس الفترة وخرج إلى اتفاق التاريخيين وانظر (عطية القوصى ، سيراف وكيش وعدن ، ص ٦٣) .

٦ - انظر ترجمة خطابين يعودان لتلك الفترة ، عطية القوصى ، سيرف وكيش وعدن ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

فطن الداعى سبأ من بداية استقلاله بعدن لأهمية التجارة فى تثبيت حكمه الذى دام ما يقرب من ثلاثة وأربعين عامًا ؛ فقام بعدد من الإصلاحات الاقتصادية كان أهمها هو تنظيم العمل في الميناء ، وعهد بهذه الإصلاحات على ما يبدو للناجد مضمون بن حسان لقول ابن المجـاور[١] " ثم ضرائب وقوانين . استجدت من أيام دولة بنى زريع ويقال أول من استجده فلان اليهودى ، وقيل يسمى خلف النهاوندى ، فبقيت الخلق تجرى على قواعدهم وضرائبهم إلى يوم الدين " ومن المحتمل أن يكون مضمون قد عهد لولده خلف الذى ورث منصب الناجد بعد أبيه بقيادة فريق عمل لوضع التشريعات وسن القوانين الخاصة بالضرائب والجمارك فى عدن ، كما أن العلاقة بين مضمون وبلال بن جرير تسمح بتولى مضمون هذه المهمة ، وبالتالى فإن هذه المهمة تحتاج إلى فريق عمل قد تم اختياره فيما يبدو برعاية مضمون . ومهما يكن من أمر فإن تقدير الضرائب فى الميناء على ما يبدو ظل بأيدى اليهود حتي عهد بنى رسول استناداً إلى رواية اليافعى (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) فى كتابه مرآة الجنان التى نقلها بعض المـؤرخـين[٢] عن ترجمة لأحد صلحاء اليمن يدعى سفيان بن عبد الله الذى كان يقطن عدن "ويحكى أن سلطان اليمن بوقته جعل التصرف فى أموال عدن لبعض اليهود وأن هذا اليهودى هو الذى أحدث الضرائب من التجار بأموالهم ظلمًا وكان يشغل الناس عن صلاة الجمعة بعدن فجاء إليه الصالح سفيان وقال له أسلم فامتنع فقتله فلزمه السلطان وحبسه " والرواية وإن لم تكن مأطرة تاريخيًا إلا أنها وحسب وفاة الراوى واستعمال لفظ السلطان قد ترجع إلى عصر بنى رسول كما أشرنا سابقًا .

يشير ابن المجاور[٣] إلى المعاناة التى عاني منها التجار فى ميناء عدن بسبب التفتيش والجمارك العالية لكنه لم يحدد لنا عصراً معينًا لذلك ، ويبدو أن ذلك كان فى نهاية عصر بنى زريع أثناء الوصاية على أبناء عمران بت محمد بن سبأ الثلاثة ؛ إذ لا يتفق ما أورده ابن

---

١ - المستبصر ، ص ١٤٠ ؛ جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٤.

٢ - عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى السكسكى اليمنى ، طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق عبد الله محمد موسى ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ١٩٩٤م ، ص ١٧٨ ؛ أبى مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢ ص ٩٣ .

٣ - المستبصر ، ص ١٢٨ .

المجاور مع ما جاء به هو أيضًا فى معرض حديثه عن بناء سور عدن قبل هذه الرواية مباشرة .
وملخص القصة هو أن ناخوذة أحد المراكب القادمة من المغرب عندما رسى بليل فى الميناء
قصد أحد المنازل التى كانت مضاءة وتفوح منها رائحة العود وطلب من صاحب الدار أن يخبى
لديه بعض بضاعته حتى لا تخضع للضريبة فرحب ؛ فحمل إليه ثلثى ما بالمركب ، ولما أصبح
علم أن صاحب البيت هو الداعى صاحب عدن ؛ فقال : " خفت من المطر وقعت تحت الميزاب "
. لكن كان الصفح من جانب الداعى وأبلغه " بأن عشور مركبك هبة منى مع الدار التى نزلت
فيها وهذه ألف دينار تنفقها مادمت فى بلادنا "[١] والرواية تشير إلى المعاملة الكريمة من
الداعى تجاه تاجر خرق القانون رغبة فى تأليف قلوب التجار وليس فى التشديد عليهم
وتنفيرهم كما جاء فى الرواية الأولى . ويبدو أن ما خرج به مضمون من إجراءات خاصة
بالميناء كانت خلاصة لتجارب التجار اليهود وغير اليهود الذين ارتادوا موانى الهند والصين
لسنوات ؛ إذ أن هذه الإجراءات التى اتبعتها حكومة الزريعين فى عدن كانت مشابهة بقدر
كبير لما كان متبع عند السلطات الصينية في موانيها [٢].

استوجبت التشريعات التى وضعها اليهود لتنظيم العمل فى الميناء - على ما يبدو -
تحرراً ملحوظًا من قيود الشريعة اليهودية حتى تأتى ثمارها ؛ مما وضع التجار اليهود فى
مواجهة مع رجال الدين اليهودى فى عدن ، فقد أدت هذه المواجهة والاعتراض على الأسلوب
النفعى فى التشريع إلى هجرة يعقوب بن سالم أحد رجال الدين اليهودى الذى عمل قاضياً
(ديان Dayyan) خلال فترة الداعى سبأ ومضمون من المدينة والإقامة فى عزلة بعيداً عنها
بمسافة ثلاثة أيام ، ويأتى للمدينة شهراً كل عام يجتمع فيه بإخوانه فى الدين للفصل فى
القضايا التى نشبت خلال العام [٣]، ومن الطبيعى أن تعترض فرقة القرائين[٤] التى يلتزم

---

١ - المستبصر ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٢ - راجع ، جورج حورانى العرب والملاحة فى المحيط الهندى في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، الأنجلو المصرية ١٩٥٨م ، ص ٢١٧ .

3 - Mann, The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, 2, p. 366 .

٤ - تنتسب هذه الفرقة إلى عنان بن داود الذى عاصر الخليفة أبو جعفر المنصور ، وأطلق عليهم القرائين لأخذهم التوراة وحدها ورفضهم التلمود ، ولم يكن من السهل على اليهود تحمل رأى القرائين فى ذلك حيث نبذوا وتشددوا فى كثير من الأمور خاصة حرمة يوم السبت وقواعد التقويم اليهودى ، ورفضوا =

أتباعها بنصوص التوراة على هذا التحرر أيضًا ؛ مما جلب على أتباعها لعنة الناجد مضمون واستمات فى القضاء على أتباعها فى اليمن [١].

انتظم العمل فى الميناء وقامت شركات تجارية للعمل فى تجارة الهند ومن أشهر هذه الشركات الشركة التى تحدثنا عنها آنفًا والتى قامت بين مضمون بن حسان وبلال بن جرير وامتد نشاطها إلى شبه القارة الهندية ، كما قامت شركات تجارية أخرى فى عدن للعمل على نفس الخط التجارى بين تجار مسلمين ويهود[٢] وهناك من الوثائق التى تتحدث عن نشاط هذه الشركات فى سيلان وهى عبارة عن مراسلات تمت بين مضمون وبعض عملائه من التجار اليهود فى مصر والذى يطلب منه فى رسالته توريد العديد من السلع التى تنتجها تلك البلاد مثل الفلفل واللاك وبعض الأقمشة [٣]. وفى العادة كان يتم تمويل الرحلة من جانب الشركاء ثم يخرج المركب فى طريقه إلى بلاد الهند يحمل عدد من هؤلاء الشركاء ؛ ففى خطاب يعود لشهر مايو ١١٤١م أرسله نهراى بن علان (Nahray B. 'Allan) وهو من تجار الهند من ميناء عيذاب إلى ولده فى مدينة الإسكندرية يوضح فيه وجود شركة بين تجار يهود ومسلمين على متن السفينة التى يستقلها ، وعنما وصلت السفينة إلى مصر استلم وكيل التجار الشحنة وعرضها للبيع ، ومن ثم وزع حصيلتها على كل الشركاء الذين استثمروا أموالهم فى هذه المغامرة التجارية [٤].

اهتمت السلطات العدنية بصناعة السفن خاصة التى تستطيع قطع المسافة الطويلة بين عدن وشبه القارة الهندية ، فكانت هناك دار لصناعة السفن فى ميناء عدن تصنع هذه المراكب التى تحتاج إلى مواصفات خاصة خلاف تلك التى تعمل فى البحر المتوسط [٥]. وهناك إشارة

= على أنفسهم قيوداً ثقيلة لا تجيزها مقتضيات الحياة . ولمزيد من التفاصيل راجع بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ص ١٩١ - ١٩٥ .

1 - Reuben Ahron, the Jews of the British Crown Colony of Aden, p. 20 .

٢ - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 181, 184 ، جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٦ .

٣ - انظر نص الرسالة ، Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 183 .

4 - Ibid, p. 198 .

٥ - ابن المجاور ، صفة تاريخ اليمن ، ص ١٢٨ .

من اثنين(١) من الكتاب اليهود إلى عمل اليهود فى عدن فى صناعة السفن ، حيث فطنوا إلى الدخول إلى كافة المجالات التى تخدم التجارة ، ومن المناسب أن يعتمد عليهم كبار التجار المسلمين واليهود فى هذا المجال ، وتتحدث وثائق الجنيزا عن سفن المحيط الهندى التى تصنع من خشب الساج أو خشب جوز الهند الذى يأتى من الهند(٢) والتى تربط أجزاءها ببعضها بالحبال بدلاً من المسامير(٣) ، لاختلاف مياه المحيط الهندى عن البحر المتوسط الهادئة(٤) ، وتشير وثائق الجنيزا إلي امتلاك ثلاثة من يهود عدن لثلاث سفن كانت تعمل في المحيط الهندى تحمل تجارات الهند ، وإحدى الوثائق هى عبارة عن خطاب أرسله مضمون بن حسان وكيل التجار فى عدن إلى نظيره فى العاصمة المصرية أبى زكريا جوده بن كوهين بن جوزيف يقول فيه " بعد سؤال الله وحمده وتوجيهه بنيت مركبًا فى عدن ، وأرسلت بضائع إلى سيلان مع الشهير الشيخ بلال " (٥).

تقدر المسافة من عدن إلى سيلان بـ ٢١٠٠ ميلاً(٦) مما يدلل على وجود ترسانة بحرية متطورة فى ميناء عدن تستطيع مراكب قوية تتحمل الإبحار كل هذه المسافة ، ويرى (Goitein)(٧) أنه من الأسهل على الأقليات أن تحقق ريادة فى النشاط البحرى فى ظل الدول المتعددة القوميات المجاورة للمحيط الهندى ، مقارنة بمنطقة البحر المتوسط ، حيث كان المسلمون والنصارى يواجهون بعضهم البعض كمعسكرين قويين ، مشيراً إلى حيازة عدد من

---

1 - Goitein, Jews and Arabs, 47; Herbert Lewis, After the Eagles Landed : The Yemenites of Israel, p. 17 .

٢ - جورج حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ص ٢٥٠ .

٣ - تخاط المركب بأمراس من القنبار ، وهو قشر جوز النارجيل ، وتخلل بدسر من عيدان النخل ، ثم تسقى بالسمن أو بدهن الخروع أو دهن القرش ، لمزيد من التفاصيل ، راجع ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٤٧ .

٤ - جواتياين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٥٧ .

٥ - انظر : Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 183 .

6 - Ibid., p. 182 - 183 .

7 - Ibid., p. 177 .

اليهود لسفن تعمل فيما بين عدن وموانى الهند ، وهو كلام مردود عليه حيث لا يعنى امتلاك ثلاثة سفن فى الخط التجارى مع الهند ريادة بحرية ، كما أن سفينة مضمون من الجائز أن تكون ضمن مشاركة بلال بن جرير ، لكن يبدو أن اليهود شاركوا بقدر واف فى المبادلات التجارية دون الاستثمار فى مجال النقل البحرى ، إذا علمنا أن السفن كانت تتعرض لمخاطر الغرق والقرصنة ، كما لم نعثر على أى إشارة لعمل اليهود كملاحين على ظهر السفن التجارية بين عدن والهند اللهم إلا أحد ملاك السفن الثلاث السابق ذكرهم ، حيث وصف بالناخوذا وهى كلمة فارسية تعنى قبطان السفينة ، وقد يكون هذا اللقب قد أطلق عليه من قبيل التبجيل ، خاصة أن احتفال اليهود بيوم السبت قد يعرقل عملهم كملاحين على ظهر السفينة ، وفى المقابل نجد أن الهنود هم الذين حازوا السبق فى هذا المجال ، وتتحدث الوثائق عن امتلاك أحد الهنود ويدعى Pdyar لعدد من السفن فى تجارة المحيط الهندى ، حيث تبادل المراسلات مع مضمون بن حسان بشأن التعامل فى نقل البضائع فى المحيط الهندى (١).

يروى ابن بطوطة(٢) الذى زار عدن فى سنة ١٣٣١م عن ثراء التجار فى عدن " وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال ولهم فى ذلك تفاخر ومباهاة " ، فمن المعقول أن النصيب الأوفر من عدد السفن التجارية فى عدن كان ملكًا للتجار المسلمين من أهل البلاد ويشير ابن المجاور(٣) إلى كثافة عدد السفن التى تصل إلى عدن فى عهد الأمير ناصر الدين بن فاروت والى عدن حيث " يرسى فى كل عام تحت جبل صيره (غاطس ميناء عدن) سبعين ثمانين مركب زائد ناقص " بيد أن هذا العدد الذى يشير إليه ابن المجاور كان بعد عام ٦٢٥هـ بعد زيادة الضرائب والجمارك على الواردات والصادرات فترة حكم الأيوبيين ، مما يرجح أن العدد كان أكبر من ذلك فى أيام بنى زريع ، حيث كانت التسهيلات أكثر ، ومهما يكن من أمر فإن معدل وصول السفن إلى ميناء عدن فى تلك الفترة كان يتراوح ما بين مركبين إلى ثلاثة فى الأسبوع (٤).

---

١ - جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٦ .

٢ - تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٤ ، لسنة ١٤٠٥هـ ، ١ ص ٢٧٦ .

٣ - المستبصر ، ص ١٤٤ .

٤ - محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٩٠.

صاحبت السفن التجارية المبحرة إلى المحيط الهندى سفن صغيرة أخرى تابعة لملاك هذه السفن ، كما كانت السفن تسير فى قوافل خوفًا من القراصنة وأهوال البحر ، ومن الجدير بالذكر أن القراصنة الهنود كانوا يخرجون من جزيرة سقطرة فى مراكب كثيرة لسرقة التجار[١]. " وعادة هؤلاء اللصوص أنهم لا يقتلون أحداً إلا حين القتال ولا يغرقونه ، وإنما يأخذون ماله ويتركونه يذهب بمركبه حيث شاء ، ولا يأخذون المماليك لأنهم من جنسهم "[٢]. وربما كان الخطر الذى تتعرض له سفن المحيط الهندى هو الذى جعل تجار هذا المحيط يضعون هامش ربح كبير يغطى أي خسائر محتملة ناجمة عن الغرق أو القرصنة[٣] وخطاب محروس بن يعقوب (الناخوذا) مالك إحدى السفن يبين حالة من حالات القرصنة التى واجهت سفينته وهى فى طريقها من الهند إلى عدن خلال عام ١١٤٥م[٤].

وعلى الرغم من ذلك لم يكن القراصنة أقوياء بدرجة كافية ، ولم يكونوا مصدر تهديد خطير ، فضلاً عن ذلك كانت السفينة التجارية فى ذلك الوقت مسلحة تسليحًا جيداً وكان يرافقها جنود حراسة ، وكانت البلدان التى تمر بها التجارة أو المنتجة للسلع حريصة على أن يعم الأمن على شواطئها [٥]، ففى عدن تولى الناجد مضمون مهمة عقد اتفاقيات مهادنة لصالح التجارة الهندية مع قراصنة البحر (متجرمة البحر) فى مياه البحر الأحمر والمحيط الهندى للمحافظة على انسياب التجارة فى أمان إلى ميناء عدن ، وكذلك هادن قطاع الطرق البرية وخاصة الطريق البرى بين عدن ومصر[٦] . ووصل الأمر أن فرضت الحكومة العدنية ضرائب خاصة لحماية السفن من القراصنة ، وظلت هذه الضرائب مفروضة حتى سنة ١٤١٢م ،

---

١ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٦٨ .

٢ - ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ١ ص ١٧٤ .

٣ - شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، مقال ضمن بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، عدد تذكارى بمناسبة بلوغ الدكتور سعيد عاشور سن السبعين ، مركز النشر لجامعة القاهرة ص ٣٥٧ .

4 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 177 .

٥ - شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، ص ٢٥٨ .

٦ - راجع جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٣ .

ويبدو أنها ظلت حتى بعد هذا التاريخ[١] وكانت أخطر مراحل الرحلة هي لحظة دخول السفينة إلى البحر المفتوح ، أو لحظة ارتطامها بالشاطئ ورسوها في الميناء [٢].

ومن الرحلات التجارية التي تلقي الضوء على تجارة عدن مع شبه القارة الهندية رحلة يوسف اللبدي ، التي نتعرف عليها من خلال رسالة أرسلها أحد التجار الهنود بعد عودته إلى القاهرة إلى وكيل التجار في عدن حسان بن بوندار ، حيث يعرض فيها التفاصيل والمغامرات والمحن التي صادفت التاجر اليهودي يوسف اللبدي من وقت خروجه من شمال أفريقيا ؛ فقبل أن يستعد للإقلاع شرقًا إلى الهند سافر إلى المهدية في تونس وجمع بضائع من تجار آخرين من خلال شراكة تجارية معهم ، ثم عرج على مصر وفعل نفس الأمر على نطاق واسع ، حيث ائتمنه أبو يعقوب الحكيم وكيل التجار في مصر على أنواع من النسيج المختلفة ، وكميات من النحاس والأواني الفضية وعقاقير طبية ، وطلب منه تسليم نصف البضائع إلى حسان بن بوندار وكيل التجار في عدن كثمن لحمولة فلفل ، أما النصف الباقي فعليه مبادلته بالصمغ من إقليم الجوجرات الذي يقع في الشمال الغربي للهند ، وصل يوسف اللبدي إلى عدن واصطحب معه منها أخوة وكيل التجار حسان بن بوندار إلى الهند . ساد الرحلة خسائر كثيرة وتعرض يوسف اللبدي للمحاكمة أمام المحكمة الربانية على مدى أحدى عشر جلسة عقدت فيما بين ٩ نوفمبر ١٠٩٧م و ١٨ أغسطس ١٠٩٨م لمخالفته الشروط التي نص عليها عقد الشراكة[٣] . كان هذا الأمر شائعًا في تجارة المحيط الهندي لتعرض كثير من السفن للغرق ؛ لذلك كانت المحكمة الربانية تسجل تقارير عن الأشخاص الذين لقوا حتفهم في البحر ، وعن البضائع التي غرقت ، أو التي أنقذها الغواصون ، وترسل هذه التقارير إلى من يهمهم الأمر[٤].

---

1 - Serjeant, R. B., The Portuguese off the South Arabian coast, Oxford, 1963, p. 23 .

٢ - جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند في العصور الوسطى ، ص ٢٧٤ .

٣ - انظر جوايتاين ، نفسه ، ص ٢٥٢ ؛ Goitein, Letters of Medieval Jewish traders, pp. 177 - 181 .

٤ - Encyclopedia Judaica, p. 260 ؛ جوايتاين ، نفسه ، ص ٢٥٩ .

تميزت تجارة الهند بكثرة الموانى التى تعمل فى تلك التجارة بصفة وسيط ومنها ميناء عدن بطبيعة الحال ؛ فعلى سبيل المثال لم تكن السفن تبحر من مصر قاصدة الهند مباشرة أو العكس ، بل كانت تمر بموانى مختلفة محملة بسلع ومتاجرة فى أخرى . وسلع تلك الموانى لم تكن بالضرورة سلع الميناء أو البلاد التى بها الميناء بل كانت سلعًا من كافة أرجاء بلدان المحيط الهندى ، وكثيراً ما كانت السفن المصرية تفرغ حمولتها فى ميناء عدن ، ثم تأخذ احتياجاتها من البضائع الهندية من نفس الميناء وتكر عائدة[١] ، بحيث تزيد عدد الرحلات ويزيد هامش الربح بدوران رأس المال بسرعة ، بخلاف الولوج مباشرة إلى الهند ، إذ لا تستطيع السفن التجارية القادمة من مصر إلى الهند إلا القيام برحلتين فى العام [٢]، فضلاً عن مخاطر المحيط الهندى ؛ مما قد يقلل من أرباح التجار .

عمل التجار اليهود فى ميناء عدن بتجارة الترانزيت ، حيث خزنوا بصائع الهند داخل عدن، كما تاجروا فى منتجات اليمن المحلية ، وقوائم البضائع التى وردت ضمن وثائق الجنيزا توضح بجلاء تلك السلع ؛ فقد جمع Goitein[٣] ما يقرب من أربعمائة سلعة متداولة بين الهند وعالم البحر المتوسط ، فكانت ترد إلى عدن المنتجات الهندية المختلفة ثم تخزن عند التجار لبيعها لهؤلاء الذين لا يغامرون بالذهاب إلى الهند ، وفى المقابل تأتيها سلع أوروبا ومصر وشمال أفريقيا فى طريقها إلى الهند ، ويورد جوايتاين قائمة بضائع شرقية خرجت من ميناء عدن توضح هذا المعنى . بلغ مجموع بنودها ١٠٣ عبارة عن أقمشة حريرية وملبوسات وزجاج ، وأوانى فضية ، ونحاس ، وزجاج ، وسلع منزلية ، وكيماويات وأدوية وصابون ، وورق ، ومعادن ، ومرجان ، وأطعمة محفوظة [٤].

غلبت هذه التجارة على عدن – تجارة الترانزيت – حيث كانت مؤهلة للعب هذا الدور فى التجارة العالمية آنذاك حيث موقعها المتوسط بين الشرق والغرب ، وتاريخها القديم فى العمل

---

١ – شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، ص ٣٤٣ – ٣٤٥ .

2 - Werner Daum, from Aden to India and Cairo, p. 168 .

3 - From Aden to India, p. 44 .

٤ – دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ص ٢٦٦ .

بالتجارة ، فضلاً عن اهتمام حكامها بالتجارة كمصدر أصيل للدخل ، وتعاونهم مع التجار في تنمية الميناء ، ومشاركتهم في شركات تجارية تعمل في تجارة الهند . خضع السوق في عدن لنظرية العرض والطلب ، فقد كان الحديد من السلع التي لا يتداولها اليهود في أسواق البحر المتوسط ، بيد أنه احتل مكانًا بارزًا في تجارتهم مع الهند ، واشتهرت الأخيرة بصناعة المعادن، ففي خطاب وكيل التجار في عدن مضمون بن حسان إلى أبراهام بن يجو اليهودي التونسي صاحب الأنشطة التجارية والصناعية خلال الفترة (١١٣٢ - ١١٤٩م) على ساحل المليبار في الهند ؛ طلب مضمون منه بالنيابة عن أحد عملائه المدعو أبو الخير " سؤالك في أن تهتم له في إنفاذ ما تبقى له من حديد وهيل وجميع باقي حسابه . تنفذ له جميع ذلك في أول مركب يخرج من الهند ، والحديد هذه السنة في عدن بايع ، وجميع ألوان الحديد والسنة الآتية يكون أيضًا في عدن نافق لأن ما بقى في البلد منه شيء "[١]. ويقدر وزن الحديد بالبهار وهو من الأوزان التي اختلف من حيث مقداره ، لكن أحد الدارسين قدره بـ ٢٧٠,٥٦٢كم [٢].

والفلفل من سلع الترانزيت الأخرى التي جلبت إلى عدن من الهند ، وقد لا تخلو أي قائمة من قوائم السلع التي نشرت من وثائق الجنيزا من هذه السلعة ، ويبدو أنه اكتسب أهمية خاصة في أوروبا حتى صار هناك مثل شائع في العصور الوسطى بتشبيه الشيء النادر الغالي بالفلفل فيقولون (غال كالفلفل) [٣]، كما كان اليهود في انجلترا يدفعون ضريبة من الفلفل والزنجبيل للسماح لهم بحيازة مدافن ومدارس [٤]، ومن سلع الهند أيضًا أنواع البهارات والتوابل الأخرى والعطور ونباتات الصباغة والدهان والأعشاب الطبية ، ومن المعلوم اهتمام اليهود في العالم الإسلامي بصناعة العطور [٥]، كما وصل عدن كميات من الخزف الصيني

---

١ - انظر نص الرسالة Goitein, from Aden to India, p. 47 .

٢ - محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن ، ص ١٨٥ .

٣ - شوقي عبد القوي عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

٤ - شوقي عبد القوي عثمان ، المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

٥ - جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند ، ص ٢٦٦ .

النقى عن طريق الهند ، حيث كان شائعًا على موائد الأثرياء فى المدينة ، وأرسل منه هدية إلى رئيس المجتمع اليهودى فى القاهرة [١].

تفوقت هذه السلع على باقى الواردات الهندية كمًا ونوعًا ، والخطابات المتبادلة بين عدن والهند تعدد ورودها بكميات كبيرة ، كما خرجت أيضًا بضائع الترانزيت الآتية من مصر وبلدان البحر الأحمر فى طريقها إلى الهند وفق طلبات وكلاء التجار هناك ، مثل المنسوجات المصرية وأوراق الكتابة والسكر والتمر والسلع المنزلية ، وهذه البضائع التى تظهر فى وثائق الجنيزا فى أغلبها بضائع لاستعمال التجار اليهود وغيرهم من المقيمين فى شبه القارة الهندية[٢]. ومن ثم يمكن القول إن السلع الهندية كانت لها اليد الطولى فى رحلة التجار ، ورحلة العودة من الهند هى التى يعول عليها التجار اليهود ، لذلك كانت بضائعهم التى يصطحبونها لمبادلتهم ببضائع الهند فى معظمها استهلاكية مع بعض من المنتجات الصناعية[٣].

دار حول عمل اليهود بتجارة الرقيق لغط كثير ، وهناك نوع من التعتيم خاصة من جانب الكتاب اليهود يصاحبه دفاع قوى عن عدم اشتراكهم فى هذه التجارة بعد القرن التاسع وحتى القرن السادس عشر الميلادى ، حيث يرى أحد الدارسين[٤] اليهود أنهم لم يشتركوا فى تلك التجارة فى الفترة المشار إليها لا فى البحر المتوسط ، ولا فى المياه الإفريقية والهندية ، استناداً على عدم وجود أى إشارة لهذه التجارة فى الجنيزا حتى القرن السادس عشر ، وهذا الدليل لا يكفى للتأكيد على عدم تعاملهم فى الرقيق القادم من الهند إلى عدن ، فقد نشطت تلك التجارة فى المحيط الهندى [٥]. وخصص له سوق فى مدينة عدن [٦]، ومن المعلوم أن اليهود امتهنوا حرفة تجارة وخصى العبيد ، وبدا ذلك واضحًا فى مدينة بجانة الأندلسية التى

---

1 - Goitein, A Mediterranean society, 4, p. 146 .

2 - Goitein, from Aden to India, p. 46 .

٣ - جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند ، ص ٢٦٦ .

٤ - نفسه ، ص ٢٦٥ .

٥ - ابن بطوطة ، تحفة الأنظار ، ١ ص ١٧٤ .

٦ - انظر ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

التى كانت مركزاً هاماً لتجارة وخصى العبيد بواسطة اليهود على حد قول المقدسى المتوفى (٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) [١]، أى خلال القرن العاشر الميلادى مما يناقض القول السابق بتوقف اليهود عن تجارة الرقيق عند القرن التاسع الميلادى ، وهناك الكثير من التجار اليهود الذين جاءوا من الأندلس وشمال أفريقيا وعملوا على نفس الخط التجارى مع الهند واتخذوا من عدن موطناً ، فما المانع أن يكونوا قد شاركوا فى هذه التجارة التى لم يحرمها الإسلام ، خاصة أن الحكومة العدنية أعفت بعض أصناف الغلمان من ضريبة العشور[٢].

صدر اليهود من عدن العديد من البضائع اليمنية ، فلم يكن الميناء سوقاً لتجارة الترانزيت فقط ؛ فقد احتكر يهود العالم الإسلامى مهنة الدباغة [٣]، واليمن منذ القدم تشتهر بدباغة الجلود وتصديرها إلى البصرة [٤]، وقول ابن المجاور [٥]" وكل مدينة بناها الفرس من أهل سيراف بنوا فيها المدابغ " يدلل على انتشار هذه الصناعة فى مدن اليمن المختلفة منذ حكم الفرس لبلاد اليمن ، وفى زمانه كان الجلد يأتى من كل مدن اليمن إلى عدن ، ثم يصدر إلى الـهـنـد [٦]، وتظهر المصنوعات الجلدية كثيراً فى أوراق الجنيزا لأنها الغطاء الرئيسى للمسافرين على ظهر السفن التجارية [٧]، ومن المرجح أن اليهود فى اليمن قد امتهنوا تلك الصناعة كما فى بقية العالم الإسلامى ، وتعاملوا فى تلك السلعة فى تجارة الهند ، حيث يظهر الجلد ضمن السلع التى وردت فى الخطابات المتبادلة بين مضمون بن حسان وكيل التجارة فى عدن وأبراهام يجو فى الهند[٨]، كما تعامل التجار اليهود فى المصنوعات الجلدية الواردة

---

١ – شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث ط١ لسنة ١٩٨٧م ، ص ٢٠٠ .

٢ – ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ ؛ محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن ، ص ١٨٩ .

3 - Ashtor, The Jews and Mediterranean Economy, p. 148 .

٤ – الحسن بن عبد الله الأصفهانى ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى ، دار اليمامة ، الرياض ، ص ٣٠٨ .

٥ – ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٧ .

٦ – ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٨ .

7 - Goitein, A Mediterranean society, 4 , 129 .

8 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 49 .

من الحبشة ، فقد كانت المفارش الجلدية الحبشية ترسل من عدن إلى تجار منطقة البحر المتوسط المقيمين فى المليار[1] .

ومن البضائع اليمنية التى تاجر فيها اليهود مع الهند القدور اليمنية[2] ، مع العلم أنها لم تكن تظهر فى قوائم السلع بكميات كبيرة ، لكنها من السلع اليمنية الخالصة التى برع فى نحتها اليمنيون من (الحجر الأملس الذى لا يعمل فيه الحديد إلا الفولاذ)[3] ، فضلاً عن الخيول التى صدرها ميناء عدن إلى الهند ، حيث لم تكن الخيول تربى فيها ، وكان يتم استيرادها بكميات كبيرة ، وكانت المحطة الرئيسية لوصول هذه التجارة جزر وسواحل المليار[4] ، لكن لم نجد فى وثائق الجنيزا ما يشير إلى تعامل اليهود فى هذه التجارة ، ومن المرجح أنها كانت خارج اهتماماتهم ، فقد نأى التجار اليهود بأنفسهم عن التعامل فى هذه السلعة العسكرية التى قد تجلب عليهم غضب الهنود ، فقد كانت الدول الإسلامية فى الهند فى حاجة ماسة إلى الخيول لتدعيم قوتها العسكرية فى مواجهة القوى الهندية المتمردة[5] .

---

1 - Goitien, A Mediterranean society, 4, p. 129 .

٢ - انظر ، جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند ، ص ٢٦٦ .

٣ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٥ .

٤ - هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ٢ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٥ - عاصر الصليحيون وبنو زريع فى عدن الدولة الغزنوية والدولة الغورية فى شبه القارة الهندية ، ولقد أورد ابن المجاور حادثة تخص أحد رعايا الدولة الثانية الذى ينتسب إلى عاصمتها فيروزكوه الحسن بن على حزور الفيروزكوهى ، حيث يعمل تاجراً للجوارى بعدن (المستبصر ، ص ١٤٦) ، مما يدلل على التواصل التجارى بين الدول الإسلامية فى الهند وعدن ، وكان لهاتين الدولتين صولات وجولات داخل الأراضى الهندية ، مما استلزم قيام تجارة الخيول مع هذه الدول لتقوية جيوشها التى تقاتل أعداء يعتمدون على الفيلة ، لمزيد من التفاصيل ، راجع حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى ، النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٠٤ - ٢١٧ ؛ عصام الدين عبد الرءوف ، الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١١٤ - ١٣٣ ، ٣٤١ - ٣٤٨ ، كما أشرف الصليحيون على الدعوة الفاطمية فى الهند وكون أتباعهم دويلات أشهرها الملتان ، مما يفسر التواصل بين عدن وبلاد الهند ، انظر عبد المنعم ماجد ، سياسة الفاطميين فى الخليج العربى مستمدة من السجلات المستنصرية ، المؤرخ العربى العدد ١٢ بغداد ١٩٨٠م ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .

وقد زاد اهتمام السلطات العدنية بهذه التجارة في العصر الأيوبي لما تدره من دخل حيث خصصوا لها خزانة خاصة تودع فيها متحصلاتها [١].

مال الميزان التجاري ناحية الهند كمًا ونوعًا ، ولم تعكس وثائق الجنيزا إلا حالة واحدة كان الميزان فيها متعادلاً ، وهي رحلة يوسف اللبدي [٢]، وابن المجاور يؤيد ذلك ، من حيث عرضه للبضائع الهندية التي تستحق العشور والمعفاة منها ، إذ يورد العديد من أصناف البضائع الآتية من الهند ، ويبدو طبقًا لما سبق أن البضائع المرسلة من عدن إلى الهند لم تساو في قيمتها البضائع المشتراة ، ولتعويض هذا العجز في الميزان التجاري حمل التجار اليهود معهم إلى الهند الحرير وفاءً لثمن السلع المشتراة من هناك ؛ ففي رسالة أرسلها التاجر اليهودي خلاف بن اسحق بن بوندار من عدن إلى الملبار على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند يقول فيها لوكيله هناك " أرسلت لك خمس بالات من الحرير الجيد على حسابي لأني رأيت أن سيدي مضمون أرسل بعضًا منه إلى عدلان وإلى آخرين ، وقيل أنه يباع بأسعار جيدة في ملبار ، ولذلك رأيت أنه من الأفضل أن أرسل بدلاً من الذهب كسلعة يمكن أن تحقق بعض الأرباح ، ولذلك أرجو أن تبيعه لي بأي سعر ، وأرجو أن ترسل لي بمقابله أي شيء آخر مع أي سفينة بدون أي مسئولية عن أية مخاطر برية أو بحرية " [٣]، وفي رسالة من يوسف بن أبراهام أرسلها من عدن في أواخر عام ١١٣٠م إلى أبراهام بن يجو الذي ورد ذكره سابقًا يطلب منه شراء بضائع له بثمن الحرير الذي أرسله [٤].

استعمل التجار اليهود الدنانير الذهبية في تعاملهم التجاري مع بلاد الهند ؛ وقد لاقت هذه العملات الذهبية قبولاً في الهند فيما يبدو لأوزانها وليس لما هو منقوش عليها من

---

1 - Goitien, A Mediterranean society, 4, p. 129 .

١ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٤ .

٢ - أحصى جوايتاين أصناف البضائع الواردة من الهند في قائمة وصل عددها إلى أربعين صنفًا ، from Aden to India, p. 44

٣ - Goitien, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 190 ؛ انظر ترجمة الرسالة ، شوقي عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

4 - Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 193 .

عبارات وأسماء حكام ، حيث ظهر فى وثائق الجنيزا الدينار المصرى (الفاطمى) والدينار المالكى والدينار الذبيدى ودينار ذى جبلة وهى عملات يمنية كأثمان لسلع هندية (١)، وإصدار العملة الذهبية فى اليمن هو دليل على قوة الاقتصاد اليمن فى ذلك الحين ، فقد ضرب الصليحيون الدينار المالكى فى عدن منذ سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م حتى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م لمدة تزيد عن أربعين سنة (٢)، وإنشاء دار للضرب فى عدن مع أنها لم تكن العاصمة يدلل على أن عدن كانت العاصمة الاقتصادية للصليحيين ثم تولى الزريعيون ضرب الدينار المالكى فى عدن حتى سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م(٣).

ويبدو أن استعمال العملة الذهبية فى تجارة الهند من جانب اليهود كان لتحقيق أكبر قدر من السرعة ودوران رأس المال ؛ إذا أن إرسال سلعة إلى بلاد الهند وشراء بثمنها بضاعة هندية قد يتطلب بيعها قدراً من الزمان خاصة وأن تجارة الهند نافقة فى الشرق . وبالتالى فإن العملة والمقايضة كانا جنبًا إلى جنب فى المبادلات التجارية التى قام بها اليهود بين الهند وعدن ، وفى التجارة مع مصر يبدو أنه قد جرت عادة يهود عدن تحويل قيمة البضائع إلى ذهب أو فضة ؛ ففى رسالة من وكيل التجار فى عدن إلى نظيره فى القاهرة يقول " بعد الاتفاق على السعر حول المبلغ إلى ذهب وفضة ، ولا شىء غير ذلك ، ووزعه على العديد من التجار أبناء ديننا وغيرهم إذا كانوا معروفين بالثقة " (٤)، ومن المعروف أن اليهود فى العالم الإسلامى انفردوا " بصناعة الصياغة واختلفوا فيها وأقاموا لها سوقًا لأنفسهم " (٥)، وفى عدن

---

١ - انظر ، جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ تتغير القيمة بين الدينار المالكى فى عدن وبين الدينار المصرى المتداول فى الجنيزا من ١:٢,٢ إلى ١:٤ وفقًا للعرض والطلب ، أما القيمة الرسمية فكانت ١:٤,٥ ، ووفقًا لجمعية النميات الأمريكية فإن وزن الدينار المالكى ٢,٣٣ جرام وهذا يطابق تقريبًا قيمة ١:٢,٢ ، انظر Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders, p. 182 هامش رقم ٥ .

٢ - ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٥ .

٣ - محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، Bikhazi, Ramzi, Coine of Al-Yaman, Al-Abhath, vol., 23, 1970, p. 100 .

٤ - راجع ترجمة الرسالة كاملة ، شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية ، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

٥ - الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦، ص ١٣٦.

احترفوا أيضًا صياغة الذهب والفضة[1] وعكست الجنيزا العديد من الحلى التى صنعها اليمنيون اليهود [2].

تدل الشواهد والأدلة على أن التجارة مع بلدان المحيط الهندى كانت عملية رابحة جداً على الرغم من صعوبة الملاحة والمخاطر الهائلة التى يواجهها البحارة والتجار ، حيث ظلت الحركة التجارية منتظمة مئات السنين [3]. انعكس ذلك بوضوح من خلال ثراء التجار : ففى عدن أقرض أثرياء التجار المسلمون الداعى سبأ عندما كان يحارب على بن الغارات [4]، كما بلغت ثروة بلال بن جرير عند وفاته الكثير أحصاها لمؤرخنا عمارة شاهدان هما الشيخ معمر بن أحمد بن عتاب ، والأديب أبو بكر بن محمد العيذبى ، حيث بلغت ستمائة وخمسين ألف دينار مالكى ، وثلاثمائة ألف ونيف دينار مصرى ، أي ما يقرب من المليون دينار فى ذلك الزمان ، فضلاً عن تركة ثمينة من الموجودات العينية من ذهب وفضة وأسلحة ، " أما البضائع فخزائن ومخازن " [5]، وإذا كانت المصادر قد أحصت ثروة بلال الذى كان شريكًا فى شركة تجارية مع شركاء يهود ، فما بالنا بثروة اليهود التى أغفلتها ، مما سبق القول أن العمل بالتجارة أعطى للتجارة اليهود فرصة الحراك الاجتماعى ، والانخراط داخل الطبقة العليا من المجتمع بفضل سياسة التسامح التى اتبعها حكام عدن معهم .

خلاصة القول أن اليهود تمتعوا فى عدن بسماحة الإسلام ولم يجبروا على الانعزال فى حى معين ، واندمجوا مع المسلمين ، وتأثروا بعاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم وكانت اللغة العربية هى اللغة السائدة بينهم حتى داخل معبدهم ، وهذا يعكس موقف الحضارة الإسلامية منهم ، لذلك نجدهم فى قصور الحكام وزراء وأطباء ، وفى الموانى البرية والبحرية يتصدرون العمل الإدارى والتجارى ، حيث كفلت لهم الشريعة الإسلامية العمل والمنافسة دون خوف أو وجل ، وفى

---

١ – ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٣٢ .

2 - Goitein, A Mediterranean society, 4, p. 202 .

٣ – شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، ص ٣٥٤ .

٤ – عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٨٦ .

٥ – عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٩١ .

المقابل كانت الحضارة المسيحية أشد وطأة عليهم ، ولم يسمح لهم بأى ظهور أو تفوق ، بل ظهر ذلك الموقف بشكل جلى فى الأدبيات الأوروبية ، حيث بدت صورة اليهودى فى شكل المرابى القبيح . وإذا عدنا إلى عدن فى فترة الدراسة لتقييم كتابات الكتاب اليهود التى اعتمدنا على الكثير منها نجد هناك نوع من الدعاية ومحاولة تعميم الخاص بحيث تصل القارى نتائج مضللة وعلى سبيل المثال يحاول جوايتابن من خلال كتابته الكثيرة عن تجارة الهند إرجاع الفضل فى قيادة العمل التجارى فى عدن والمحيط الهندى إلى اليهود ، فى حين أن أعدادهم كانت قليلة جداً بالنسبة للتجار المسلمين وغيرهم ، والراجح أن استعانة الحكام بهم فى عدن لتسيير عجلة التجارة فى الميناء راجع إلى حذقهم فى الأمور المالية ، فضلاً عن أنهم أقلية لا يمكنهم الانقلاب على الحكام ، فكل الأمثلة التى ضربها الكتاب اليهود هى أمثلة فردية ، وقد يكرر الكاتب مثال واحد كقرينة فى العديد من القضايا ، وتجدر الإشارة إلى غض التجار اليهود الطرف عن بعض التشريعات الدينية اليهودية التى تتعارض مع عملهم فى مجال التجارة مما أغضب ديان اليهود فى مدينة عدن ، كما انعكس ذلك على موقف التجار من فرقة القرائين وخاصة مضمون ، حيث أحبط الأخير أنشطتهم فى المدينة خوفاً من تأثيرها على العمل التجارى عصب حياتهم .

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

١ - الأصفهانى ، الحسن بن عبد الله الأصفهانى ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى ، دار اليمامة ، الرياض .

٢ - ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٤ لسنة ١٤٠٥هـ .

٣ - بنيامين التطيلى ، بنيامين بن يونه الأندلسى ، (من رحالة القرن السادس عشر الميلادى) رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، بيروت ١٩٩٦م.

٤ - البلاذرى ، أبو الحسن أحمد بن يحى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ١٢٢٩م) ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .

٥ - ابن جبير ، رحلة ابن جرير ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٠م.

٦ - ابن حجر الهيتمى ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م) ، الفتاوى الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م.

٧ - الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦م.

٨ - الخزرجى ، أبو الحسن الخزرجى (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠م) ، اليمن فى عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأولى من الباب الرابع من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، تحقيق راضى دغفوس ، الكراسات التونسية الجزء ٢٧ رقم ١٠٧ - ١٠٨ لسنة ١٩٧٩م.

٩ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت .

١٠ - صالح بن داود الأنسى ، فتح الملك المعبود فى ذكر إجلاء اليهود ، تحقيق محمد عيسى الحريرى ، ندوة التاريخ الإسلامى ، المجلد الخامس (١٩٨٥م) ص ٢٢٠ .

١١ - عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى السكسكى اليمنى ، طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق عبد الله محمد موسى ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ١٩٩٤م.

١٢ - العبدلى ، أحمد فضل بن على محسن ، هدية الزمن فى ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١هـ .

١٣ - عمارة اليمنى ، نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى اليمنى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) ، تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة .

١٤ - ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتوح يوسف يعقوب بن محمد الشيبانى الدمشقى (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض والحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه وضبطه أمسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١م.

١٥ - أبى مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧هـ) ، تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م.

١٦ - المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث ط١ لسنة ١٩٨٧م.

١٧ - الهمدانى ، الإكليل ، تحقيق نبيه أمين فارس ، برنستن ١٩٤٠م.

١٨ - الواسعى ، عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى ، تاريخ اليمن : المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط٢ ، القاهرة ١٩٤٧م.

١٩ - وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى (ت٩٤٤هـ) ، قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، لخصه من العسجد المسبوك للخزرجى ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٥٥ تاريخ .

٢٠ - وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ، رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩م.

٢١ - يحيى بن الحسين (١١٠٠ هـ / ١٦٨٩م) ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٢ – يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦م.

ثانيًا : المراجع العربية والمترجمة :

٢٣ – أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.

٢٤ – أحمد فخرى ، اليمن ماضيها وحاضرها ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٥٦ .

٢٥ – إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩١٤م.

٢٦ – إيمان أحمد شمسان ، ازدهار تجارة مدينة عدن فى العصر الأيوبى والرسولى ، ضمن الندوة العلمية (عدن – ثغر اليمن) جامعة عدن ١٩٩٩م.

٢٧ – أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤م.

٢٨ – جوايتاين ، خطابات ووثائق عن تجارة الهند فى العصور الوسطى ، مقال ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصى ، الكويت ١٩٨٠م.

٢٩ – جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة النهضة ، بغداد .

٣٠ – جورج حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، ككتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.

٣١ – جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦م.

٣٢ – حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ، النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨م.

٣٣ – حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، بحث فى الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٣٤ - حسين شريف ، المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥م.

٣٥ - حمزة لقمان ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٠م.

٣٦ - شايف عبده سعيد ، ملامح تاريخية من العمران فى كريتر - عدن فى العهد البريطاني، ضمن الندوة العلمية عدن - ثغر اليمن ١٩٩٩م.

٣٧ - شوقى عبد القوى عثمان ، التجارة المصرية الهندية من خلال وثائق الجنيزا ، مقال ضمن بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، عدد تذكارى بمناسبة بلوغ الدكتور سعيد عاشور سن السبعين ، مركز النشر لجامعة القاهرة .

٣٨ - عبد الرحمن الشجاع ، تاريخ اليمن فى الإسلام ، دار الفكر المعاصر ، صنعاء ، ط٢ ، ١٩٧٧م.

٣٩ - عبد الله أحمد الثور ، مختصر تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٧٩م.

٤٠ - عبد المنعم ماجد ، سياسة الفاطميين فى الخليج العربى مستمدة من السجلات المستنصرية ، المؤرخ العربى لعدد ١٢ بغداد ١٩٨٠م.

٤١ - عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية .

٤٢ - عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م.

٤٣ - عطية القوصى ، سيراف وكيش وعدن من القرن الثالث الهجرى حتى السادس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، م ٢٣ لسنة ١٩٧٦م.

٤٤ - على حسنى الخربوطلى ، العلاقات السياسية بين العرب واليهود فى العصور القديمة والإسلامية ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٦٩م.

٤٥ - فرج الله ديب ، التوراة العربية وأورشليم اليمنية ، مكتبة نوفل ، بيروت .

٥٦ - فرحات الدشراوى ، الخلافة الفاطمية فى المغرب ، ترجمة حمادى الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٩٤م.

٤٧ - ليلى أبو المجد ، عقود الزواج عند اليهود ، وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى القديم ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد ٢٤ ، الجزء الأول لسنة ١٩٩٥م.

٤٨ - «» «» «» «» : عقود الزواج ، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود ، القاهرة ١٩٩٥م.

٤٩ - مارك كوهين ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة نسرين مراد ، سمير نقاش ، المعهد اليهودي العربى ، جامعة تل أبيب ١٩٨٧م.

٥٠ - محمد أمين صالح ، بنو معن ثم آل زريع فى عدن ، المؤرخ العربى ، العدد ١٥ ، ١٩٨٠م.

٥١ - محمد بيومى مهران ، دراسات فى تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

٥٢ - محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة طبعة ثانية ١٩٥٧م.

٥٣ - محمد كريم إبراهيم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ٣٥ ، السنة ١٤ ، بغداد ١٩٨٨م.

٥٤ - هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٩١م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1 - Aviva Klein-Frank, The Jews of Yemen, in Yemen 3000 years of art and civilization in Arabia Felix, ed. Werner Daum Frankfurt 1987 .

2 - Bikhazi, Ramzi, Coine of Al-Yaman, Al-Abhath vol., 23 , 1970 .

3 - Bron and Kahan, Economic History of the Jews, New York, 1975 .

4 - Eli Subar, Medieval Jewish Tombstones from Aden, Jewish Quarterly Review, vol., 49, 1958-9 .

المحتويات

رقم الإيداع ٢٤٥١٨ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى L.S.B.N. 977 - 322 - 253 -5

مطبعة صحـوة

تليفـون وفـاكس/ ٣٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨